تبصرة الخلف

بشرح

التحف في مذاهب السلف

للعلامة

محمد بن علي بن محمد الشوكاني رحمه الله

المتوفى سنة: ١٢٥٠هـ

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع

تبصرة الخلف

بشرح

التحف في مذاهب السلف

للعلامة

محمد بن علي بن محمد الشوكاني رحمه الله

المتوفى سنة: ١٢٥٠هـ

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

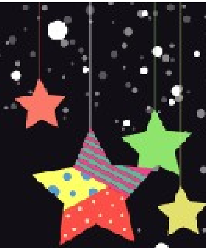
دار الميراث النبوي

للنشر والتوزيع



تحميل كتب و رسائل علمية

قناة عامة



معلومات

t.me/tahmilkutubwarosailililmiyah

رابط الدعوة

الإشعارات

معطّلة



مقدمة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق؛ ليظهره علىٰ الدين كله، وكفىٰ بالله شهيدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ إقرارًا به وتوحيدًا، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا مزيدًا.

أما بعد:

فإنه في رجب من عام ستة وعشرين وأربعمائة وألف كانت لي زيارة لبلاد اليمن -حرسها الله وسائر بلاد أهل الإسلام من كل سوء ومكروه وجمع خواصها وعوامها علىٰ ما رضيه الله للعباد والبلاد؛ الإسلام والسنة-، وأقيمت لي في تلك الزيارة بمدينة الشحر -حضرموت- وفي جامع التقوىٰ منها دورة علمية شرحت ضمنها الرسالة النافعة المفيدة مع اختصارها الموسومة:

«التحف في مذاهب السلف»

للشيخ الفاضل العلامة محمد بن علي الشوكاني، وكان هذا الشرح مسجَّلًا علىٰ أشرطة كاسيت، وبعد مدة من الزمن جلبه أخونا وتلميذنا وصاحبنا محمد بن غالب بن حسن العمري، فعرض المفرغ علينا، ونظرنا فيه بما نرىٰ أنه يخدم ما احتوته هذه الرسالة.

خطة التأليف:

بعد النظر في هذا الشرح سلكت فيه ما يأتي:

١- حذف ما أرىٰ أن المقام يستدعي حذفه من العبارات.

٢- إضافة ما يستدعي المقام إضافته.

٣- تعقبت المصنف فرددت ما أرىٰ أنه مخالف لِمَا عليه السلف.

وسميت هذا الشرح:

«تبصرة الخلف بشرح التحف في مذاهب السلف»

منهج التأليف:

صدرت شرحي لهذه الرسالة الجميلة في محتواها مع اختصارها بالآتي:

أولًا: ترجمة مختصرة لمؤلفها.

ثانيًا: اجتهدت في إيضاح عبارات هذه الرسالة علىٰ وفق ما فهمته من ألفاظها.

ثالثًا: استدللت علىٰ ما بان لي وظهر بما أمكنني من أدلة الكتاب والسنة الصحيحة.

رابعًا: عزوت الآيات القرآنية إلىٰ مواضعها من السور.

خامسًا: خرَّجت شواهدنا من الأحاديث.

سادسًا: ختمت العمل بالفهارس الآتية:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الموضوعات.

والله أسأل أن ينفع بهذا الشرح كما نفع بأصله، وأن يتقبله منَّا، ويثقل به موازيننا يوم نلقىٰ ربنا.

وصلىٰ وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية سابقًا

وتم الفراغ من النظر فيه ومراجعته بعد مغرب الأحد

الثاني من رجب عام أربعة وثلاثين وأربعمائة وألف

ترجمة الإمام الشوكاني

اسمه ونسبه:

هو الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن صلاح.

عرف هو ووالده في صنعاء بالشوكاني، وهي نسبة إلىٰ قرية من قرىٰ السحامية تسمىٰ شوكان(١)، بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم.

مولده ونشأته:

ولد وسط نهار يوم الإثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة، سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف هجرية (١١٧٣)، بهجرة شوكان من بلاد خولان باليمن، ونشأ بصنعاء اليمن، فقرأ القرآن الكريم علىٰ جماعة من المعلمين، وختمه علىٰ الفقيه حسن بن عبد الله الهبل، وجوده علىٰ مشايخ القرآن بصنعاء، وحفظ متونًا في النحو واللغة والتجويد والأصول ونحوها من العلوم.

---

(١) قال ياقوت في «معجم البلدان» (٣/ ٣٧٣ - دار صادر): «شوكان: قرية باليمن من ناحية ذمار».

طلبه للعلم:

كان ابتداء طلبه للعلم علىٰ يد والده وغيره في الفقه والتجويد والنحو واللغة والأصول والمنطق، وكان له في معظم الفنون شيخ فأكثر، وربما شرح الكتاب الواحد علىٰ أكثر من شيخ، وربما شرح الكتاب علىٰ شيخ ثم يكرره علىٰ الشيخ نفسه، وكان له عناية بسماع كتب الحديث وشروحها، فسمع الأصول الستة والموطأ وجامع الأصول بتمامها أو بفوت، وسمع غالب ما اشتهر من كتب أحاديث الأحكام، وسمع ما تيسر له من شروح كثير من هذه الكتب.

وقرأ علىٰ طائفة من شيوخه كتبًا في علوم الحديث وشروط الرواية، كما قرأ علىٰ جماعة من الشيوخ في علم العروض والفرائض واللغة وغيرها من العلوم.

من شيوخه:

قرأ الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ مشايخ كثر، منهم والده علي بن محمد الشوكاني، وأحمد بن عامر الحدائي، وأحمد بن محمد الحرازي، وإسماعيل بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد، والحسن بن إسماعيل المغربي، وحسن بن عبد الله الهبل، وعبدالرَّحمن بن حسن الأَكوَع، وعبد الرحمن بن قاسم المداني، وعبد القادر بن أحمد الحسني الكوكباني، وعبد الله بن إسماعيل النهمي، وعلي بن إبراهيم بن

علي بن إبراهيم بن أحمد بن عامر، والقاسم بن يحيىٰ الخولاني، وهادي بن حسين القارني.

نشره للعلم:

يُعَد الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الأفراد القليلين الذين نبغوا في العلم وهم دون العشرين؛ إذ كان الطلبة يأخذون عنه العلم وهو لا يزال يدرس علىٰ مشايخه، وكثيرًا ما كان يقرأ علىٰ مشايخه، فإذا فرغ من كتاب قراءة أخذه عنهُ تلامذته، بل ربما اجتمعوا علىٰ الأخذ عنه قبل أن يفرغ من قراءة الكتاب علىٰ شيخه، وكان يبلغ دروسه في اليوم واللَّيلة إلىٰ نحو ثلاثة عشر درسًا، منها ما يأخذه عن مشايخه، ومنها ما يأخذه عنه تلامذته، واستمرَّ علىٰ ذلك مُدَّة، ولما استوفىٰ ما عند شيوخه من العلوم تفرغ للتدريس، فكانوا يأخذون عنه في كل يوم زيادة علىٰ عشرة دروس في فنون متعددة، واجتمع منها في بعض الأوقات التَّفسير والحديث والأصول والنحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والفقه، وغيرها.

مؤلفاته:

لقد كان الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ جامعًا بين التدريس والقضاء والفتوىٰ والتصنيف، وكانت مصنفاته في أغلب العلوم، فمنها ما يبلغ مجلدات، ومنها ما هو دون ذلك، فمن مصنفاته الجليلة:

١- «نيل الأوطار من أسرار منتقىٰ الأخبار».

٢- «حاشية شفاء الأوام» واسمها: «وبل الغمام علىٰ شفاء الأوام».

٣- «الدرر البهية في المسائل الفقهية»، وشرحها «الدراري المضية».

٤- «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع».

٥- «فتح القدير الجامع بين الدراية والرواية في علم التفسير».

٦- «السيل الجرار المتدفِّق علىٰ حدائق الأزهار».

٧- «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة».

٨- معجم لشيوخه وتلامذته: «الإعلام بالمشايخ الأعلام والتلامذة الكرام».

٩- «إرشاد الغبي إلىٰ مذهب أهل البيت في صحب النبي».

١٠- «التحف في مذاهب السلف».

١١- «الدر النضيد في إخلاص التَّوحيد».

١٢- «أدب الطَّلب ومنتهىٰ الأرب».

١٣- «إرشاد الفحول إلىٰ تحقيق الحق من علم الأصول».

١٤- «تحفة الذاكرين شرح عدة الحصن الحصين».

١٥- «إرشاد الثقات إلىٰ اتفاق الشرائع علىٰ التوحيد والمعاد والنبوات».

١٦- «بغية المستفيد في الرد علىٰ من أنكر الاجتهاد من أهل التقليد».

وله رسائل وفتاوىٰ تبلغ مجلدات، سماها: «الفتح الرباني في فتاوىٰ الشوكاني».

وفاته:

توفي سنة ألف ومائتين وخمسين من هجرة النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- رحمه الله تعالىٰ عن سبعة وسبعين عامًا.

مصادر ترجمته:

* «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للمترجم نفسه (٢/ ٢١٤-٢٢٥)، دار المعرفة، بيروت.

* «أبجد العلوم» لصديق حسن خان (٦٨٣-٦٩٠)، دار ابن حزم، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

* «فهرس الفهارس» للكتاني (٢/ ١٠٨٢-١٠٨٨).

* «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٩٨-٢٩٩).



بداية الشرح

قال الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ خير الأنام وآله الكرام، ورضي الله عن صحبه الأعلام.

وبعد: فإنه وصل سؤال من بعض الأعلام الساكنين ببلد الله الحرام، وهذا لفظه:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، ما يقولُ فقهاءُ الدين، وعلماءُ المُحَدِّثين، وجماعة الموحِّدين في آيات الصفات، وأخبارها اللاتي نطق بها الكتاب العظيم، وأفصحت عنها سنة الهادي إلىٰ صراط مستقيم؟

هل إقرارُها، وإمرارُها، وإجراؤها علىٰ الظاهر، بغير تكييف ولا تمثيل، ولا تأويل ولا تعطيل عقيدة الموحِّدين، وتصديق بالكتاب المبين، واتِّباع للسلف الصالحين؟

أو هذا مذهب المُجَسِّمين؟

وما حكمُ مَن أوَّلَ الصفات، ونفىٰ ما وصف الله به نفسه، ووصفه به

نبيه، وتأيَّد بالنصوص، واتفق عليه الخصوص، من أنَّ الله سبحانه في سمائه مستوٍ علىٰ عرشه، بائنٌ من خلقه، وعلمه في كلِّ مكان؟

والدليل: آيات الاستواء، والصعود، والرفع، وقوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦].

ومن السنة: حديث الجارية، والنزول، وحديث عمران بن حصين، وقوله ﷺ: «أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَن فِي السَّمَاءِ؟»[(١)]. وغير ذلك من الآيات المتوترة، والأحاديث المتكاثرة[(٢)].

وأَوَّلَ الآيات، وجعل الاستواء استيلاءً، وَأَوَّلَ النُّزول بالرحمة، وهكذا جعل التأويل عليه مطردًا في سائر نصوص الصفات، وعاش في ظلام العقل في الجهل والشُّبهات، وإذا قيل له أين الله؟ أجاب بأنه: لا يُقال: أين الله؟ الله لم يكن له مكان، كما هو جواب فريق المُضلِّين.

فهل هذا جواب الجَهميِّين، والمريسيِّين، وأضلَّاء المُتكلِّمين، أم اختيار العلماء السُّنِّيين؟

أفيدونا بجواب رجاء الثواب، يوم تأتي كلُّ نفس تُجادل عن نفسها، فإنَّ هذا المقام طال فيه النِّزاع، وحَارَت فيه الأفهام، وزلَّت الأقدام، وكُلٌّ

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي- باب بعث علي بن أبي طالب، وخالد بن الوليد إلىٰ اليمن، ح:٤٣٥١)، ومسلم (كتاب الزكاة- باب ذكر الخوارج، وصفاتهم، ح:١٠٦٤).

(٢) انظر في ذلك: كتاب «العرش» للإمام الذهبي، بتحقيق الدكتور محمد خليفة التميمي.

يدَّعي الصواب بزخرف الجواب، فأبينوا المُدَّعىٰ بالدليل، وبيِّنوا طريق الحقِّ بالتفصيل والتطويل، ضاعف الله لكم الأجور، ووقاكم الشرور، والسلام عليكم ورحمة الله.

الشرح:

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله الله، وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، سيد ولد آدم أجمعين، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فهذا الكتاب الذي سنتدارسه -إن شاء الله- خلال الدورة العلمية، وهو: «**التحف في مذاهب السلف**».

فالتحف: جمع تحفة؛ فهو من اسم الجنس الجمعي، الذي تَلحق مفرداته تاء التأنيث، مثل: شجر شجرة، وزجاج زجاجة، فالتحف -كما قدمنا-: جمع تحفة، وتحفة الشيء: ما ندر منه، وكان مرغُوبًا جميلًا.

وهذا الكتاب: تضمن إشارة بليغة إلىٰ معتقد السلف الصالح في صفات الرب جَلَّ جَلَالُهُ، فحُقَّ أن يكون تحفًا؛ لجمال محتواه، من بيان منهج الحق في توحيد الأسماء والصفات، وبيانِ منزلته؛ فإن منزلة هذا الباب -أعني: توحيدَ

الأسماء والصفات- في الدين عالية، وكيف لا يكون كذلك وهو أحد أنواع التوحيد الثلاثة، التي يجب إفراد الله ﷻ بها، وهي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية -توحيد العبادة-، وتوحيد الأسماء والصفات.

فهذا السؤال يتضمن فقهًا عظيمًا، ومسلكًا سديدًا:

أولًا: أما ما فيه من الفقه: فهو سؤال أهل العلم الراسخين في علم الشريعة؛ فإن الراسخين في علم الشريعة -وهو فقه الكتاب الكريم، وفقه سنة النبي ﷺ وعلىٰ فهم السلف الصالح-: هم أهل الكلام في الدين لا غيرهم.

فالله ﷻ عدَّل أهل هذا العلم وزكاهم، قال ﷻ: ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾ [آل عمران: ١٨].

فالشهودُ علىٰ وحدانية الله ﷻ في هذه الآية ثلاثة:

الأول: صاحب الوحدانية ﷻ -وكفىٰ به شاهدًا-؛ فإنه أعلم بنفسه من خلقه، وما أنزله علىٰ رسله، وورثه بعدهم أتباعُهم؛ دليلٌ علىٰ ذلك؛ فهو ﷻ أعلم بما يجب له، وما يجوز في حقِّه، وما يمتنع عليه، ثم رسله بعد ذلك: صادقون مصدوقون، فأعلم الخلق بالله: هم رُسُل الله -عليهم الصلاة والسلام-.

والشاهد الثاني: الملائكة.

والشاهد الثالث: أهل العلم.

ولا يستشهد الله علىٰ هذا الباب -الذي هو زبدة الرسالات، وهو أصل الدين، وأساسه من خلقه-: إلا خيرهم، وأزكاهم، وأفضلهم، وأعدلهم.

فاتضح بهذا: أن الله ﷻ زكَّىٰ علماء الشرع.

وثانيًا: هذا السائل سأل عَلَمًا من أعلام الدين في زمانه، وهو الإمام: محمد بن علي الشوكاني الصنعاني، وهكذا مضت السُّنة: أن يَقصِد الحُذَّاق والفُطناء وذوي البصائر فيما ينزل بهم من نوازل خيرة أهل زمانهم علمًا وفقهًا؛ فهذا السائل: فقيه، وما أحسن ما قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**لا يزال الناس صالحين متماسكين، ما أتاهم العلم عن أصحاب محمد، وعن أكابرهم، فإذا أتاهم العلم عن أصاغرهم؛ هلكوا**»[1].

وقد أثبتت التجارب علىٰ مرِّ التاريخ: أن كُبراء العلماء: هم الذين يُفَرجُ بهم عن الأمة كربات المشكلات في النوازل، وبهم تجتمع الكلمة، وبهم يتحصن أهل السنة؛ فهم الذَّابُّون عن السنة، وعن أهلها في كل زمان، وفي كل مكان، فلا غرابة أن يعمد رجلٌ من سكان البلد الحرام إلىٰ رجلٍ من علماء هذا البلد الطيب -الذي أسأل الله الكريم، رب العرش العظيم، أن يحميه وأهله بالتوحيد والسنة، وأن يحرسه من كل مكروه، وأن يجمع كلمة حكامه ومحكوميه علىٰ ما يحبه ويرضاه من الهدىٰ ودين الحق-.

---

(١) أخرجه الخطيب في «نصيحة أهل الحديث» (٢٨، برقم:٤)، وانظر في تفسير (الأصاغر): كتاب «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٩٤).

وهذا دليلٌ علىٰ المثل المشهور: «العلم رَحِمٌ بين أهله»؛ **فالعالم السني**: يَقصِده أهل السنة من كل مكان، **فلا تُفرقوا بين أهل السنة بالأقطار،** ولا الأنساب؛ لأنهم يجمعهم أمر واحد: وهو السنة -سنة النبي ﷺ-.

ومن فقه هذا السائل: أنه ضمن سؤاله نصوصًا، وأشار إلىٰ **أُخر، وهذا** من فقهه؛ فهذا من حسن الأدب في خطابِ أهلِ العلم.

ومن فقهه: تنبيه السامعين للسؤال إلىٰ أنه **ينبغي للسائل أن يسأل عما** هو أهم في دينه، ولا يُشغل أهل العلم بأمور أخرىٰ، **فمما تضمنه السؤال:** حديث الجارية:

«قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي حَدِيثُ عَهدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ؛ وَقَد جَاءَ اللهُ بِالإِسلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأتُونَ الكُهَّانَ؛ قَالَ: **فَلَا تَأتِهِم**.

قَالَ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ؛ قَالَ: **ذَاكَ شَيءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِم، فَلَا يَصُدَّنَّهُم**. قَالَ ابنُ الصَّبَّاحِ: فَلَا يَصُدَّنَّكُم.

قَالَ: قُلتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ؛ قَالَ: **كَانَ نَبِيٌّ مِن الأَنبِيَاءِ يَخُطُّ، فَمَن وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ**».

قَالَ: وَكَانَت لِي جَارِيَةٌ تَرعَىٰ غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالجَوَّانِيَّةِ؛ فَاطَّلَعتُ ذَاتَ يَومٍ، فَإِذَا الذِّيبُ قَد ذَهَبَ بِشَاةٍ مِن غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِن بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأسَفُونَ؛ لَكِنِّي صَكَكتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ،

قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُعتِقُهَا؟! قَالَ: **ائتِنِي بِهَا، فَأَتَيتُهُ بِهَا؛ فَقَالَ لَهَا: أَينَ اللهُ؟**

قَالَت: فِي السَّمَاءِ.

قَالَ: **مَن أَنَا؟**

قَالَت: أَنتَ رَسُولُ اللهِ.

قَالَ: **أَعتِقهَا فَإِنَّهَا مُؤمِنَةٌ**»(١).

هذا الحديث: رواه مسلم، والشاهد منه: هو سؤال النبي ﷺ تلكم الجارية: «أَينَ اللهُ؟». قَالَت: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «**مَن أَنَا؟**». قَالَت: أَنتَ رَسُولُ اللهِ.

وهذا القدر من الحديث: يدل علىٰ قواعد عظيمة جليلة؛ منها:

أولًا: حرص السلف الصالح -بدءًا من أصحاب النبي ﷺ- علىٰ تعليم أهلهم، وذويهم العقيدة الصحيحة؛ فهذه جارية راعية غنم، مثلها يغفُل الناس عنه، وهي كذلك منشغلة بأعمالها، ومع هذا عَلَّمها سيدها ما تصح به عقيدتها.

ثانيًا: فيه دليل علىٰ إثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى؛ علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر.

فَعُلوُّ الذات: أنه سبحانه وتعالى فوق عرشه، وعرشه فوق سمواته، وهو بائن من خلقه.

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب تحريم الكلام في الصلاة، ح: ٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

قال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**كنا نقول والتابعون متوافرون: إن الله فوق عرشه، بائن من خلقه**»[(١)].

فهذه حكاية إجماع عمن عاصره من التابعين، الذين شاهدوا أصحاب رسول ﷺ.

وعلو القدر: معناه أن الله تَعَالَىٰ هو خالق كل شيء، وربه، ومليكه، ومعبوده، وأنه تَعَالَىٰ: له ملك السموات والأرض، ولا شريك له في عبادته، كما أنه لا شريك له في ملكه.

وعلو القدر: معناه أن كل شيء مُسَخَّر بأمر الله، مقهور بسلطانه.

وهذه الثلاثة: قد أجمع أهل السنة عليها؛ فقد تضافر عليها: الكتاب والسنة، وكذلك العقل والفطرة، فأصبحت الأدلة علىٰ علو الله خمسة: الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة.

فلا ترىٰ شيخًا كبيرًا، ولا عجوزًا من المسلمين يُسأل: أين الله؟ إلَّا وتجده يشير إليه إشارة حسية ويقول في السماء، والسماء المراد بها هنا: العلو.

---

(١) أخرجه البيهقي في «الصفات» (٢/ ٣٠٤، رقم:٨٦٥)، وابن بطة في «الإبانة» (٢٢٩)، وذكره شيخ الإسلام في «الفتيا الحموية» (٥/ ٣٩-مجموع)، وقال عقبه: «وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور جَهم المُنكِر لكون الله فوق عرشه، والنافي لصفاته؛ ليعرف الناس أن مذهب السلف خلاف ذلك» وصحح إسناده، وتبعه ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (١٣١، وما بعدها)، وكذلك: الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦).

فقولها: «في» له معنيان:

أحدهما: أن (في) بمعنىٰ (علىٰ)؛ فإذن: علىٰ هذا المعنىٰ: المراد بالسماء: المبنية، فقوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]؛ أي: علىٰ السماء، وفوقها، لكنها فوقية تليق بجلاله تعالىٰ، لا تُعلم كيفيتها.

والمعنىٰ الثاني: أن (في) بمعنىٰ الظرفية، وعلىٰ هذا المعنىٰ: فإن قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؛ المراد بالسماء: العلو؛ يعني: في العلو، وقلت: (يشار إليه بإشارة حسية)؛ لأنه في بعض طرق الحديث[1]: أن المرأة أعجمية -أعني: الجارية-، فلما قال لها: «أَينَ اللهُ؟»؛ أشارت بيدها إلىٰ السماء، وحين قال لها: «مَن أَنَا؟»؛ أشارت بيدها إليه وإلىٰ السماء؛ يعني: أنت رسولُ مَن في السماء.

ومن فقه الحديث: الشهادة لها بالإيمان، قَالَ: «أَعتِقهَا فَإِنَّهَا مُؤمِنَةٌ»، فإقرارها بعقيدة التوحيد: قد أوجب لها الإيمان.

وهكذا مَن أقرَّ بعقيدة التوحيد، وإن ركب من الكبائر ما ركب، فهو مؤمن؛ لكن إيمانه ناقص، إلَّا إذا استحلَّ الكبيرة؛ فإنه إذا استحلها عالمًا عامدًا: فإنه يكفر، ولا كرامة.

---

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» (١٨-١٩)، وهو معلول؛ فإنه يرويه يحيىٰ بن عبد الرحمن ابن حاطب، عن جده، ويحيىٰ لم يدرك جده، والأثر ضعفه الألباني في مختصر العلو (٢ / ٨١).

أما حديث عمران بن حصين ففيه إشارة تحتمل وجهين:

أحدهما: ما أخرجه البخاري، وغيره، أن رسول الله ﷺ قال: «**اقبَلُوا البُشرَىٰ يَا بَنِي تَمِيمٍ**، قَالُوا: بَشَّرتَنَا فَأَعطِنَا، ثُمَّ قَالَ: **اقبَلُوا البُشرَىٰ يَا أَهلَ اليَمَنِ**، قَالُوا: قَبِلنَا، جِئنَا يَا رَسُولَ اللهِ نَسأَلُكَ عَن أَوَّلِ هَذَا الأَمرِ، فَقَالَ: **كَانَ اللهُ، وَلَم يَكُن شَيءٌ غَيرُهُ، وَكَانَ عَرشُهُ عَلَىٰ المَاءِ**»[(١)].

فالشاهد من هذا الحديث: إثبات صفة العلو لله تعالى، كما أفاد حديث معاوية بن الحكم، الذي اشتهر بحديث الجارية.

ويحتمل وجهًا آخر: وهو ما قاله النبي ﷺ لحصين: «**كم إلهًا تعبد؟**»، قال عمران بن حصين: قَالَ النَبِيُّ ﷺ لأَبِي: «**يَا حُصَينُ، كَم تَعبُدُ اليَومَ إِلَهًا؟**»، قَالَ أَبِي: سَبعَةً: سِتَّةٌ فِي الأَرضِ، وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، قَالَ: **فَأَيُّهُم تَعُدُّ لِرَغبَتِكَ وَرَهبَتِكَ؟**، قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ: **يَا أَبَا حُصَينٍ، أَمَا إِنَّكَ لَو أَسلَمتَ؛ عَلَّمتُكَ كَلِمَتَينِ تَنفَعَانِكَ**، قَالَ: فَلَمَّا أَسلَمَ حُصَينٌ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمنِي الكَلِمَتَينِ اللَّتَينِ وَعَدتَنِي، فقَالَ: **قُل: اللَّهُمَّ أَلهِمنِي رُشدِي، وَأَعِذنِي مِن شَرِّ نَفسِي**»[(٢)].

هذا الحديث: ضعيف؛ لكن لعله ذكره من باب الاستشهاد، لِمَا أفاده من

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، باب في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾، ح:٣١٩٢).

(٢) أخرجه الترمذي (كتاب الدعوات، باب حدثنا أحمد بن منيع، ح:٣٤٨٣).

علو الله ﷻ، وإقرار أهل الجاهلية بالربوبية، وإقرارهم أن الله في السماء، فهذا صحيح.

وحديث النزول معروف، وهو مروي عن جماعة من أصحاب النبي ﷺ، وأظنه يبلغ حد التواتر، وقد ألَّف الإمامُ الدارقطني أبو الحسن علي بن عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة خاصة في هذا الباب سماها: «حديث النزول»، ومن ألفاظه: ما أخرجه الشيخان، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يَنزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنيَا** -أو: **إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنيَا- كُلَّ لَيلَةٍ حِينَ يَبقَىٰ ثُلُثُ الأَخِيرِ مِنَ اللَّيلِ، فَيُنَادِي: يَا عِبَادِيَ، هَل مِن تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيهِ، هَل مِن مُستَغفِرٍ فَأَغفِرَ لَهُ، هَل مِن سَائِلٍ فَأُعطِيَهُ، حَتَّىٰ يَنفَجِرَ الفَجرُ**»[1].

فمن تأمَّل هذه الشواهد -التي أشار إليها السائل- ظهر له أولًا -إن كان منصفًا-: أن عقيدة التوحيد عقيدة تطمئن بها النفوس، وتنشرح لها الصدور، وتزداد القلوبُ المؤمنة بها رقة وتهذيبًا؛ وذلكم لما اشتملت عليه من علو ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وفي هذا: ردٌّ بليغ علىٰ من وصف العقيدة بأنها جافة، قال: (لأنها نصوص وأحكام، ولهذا أعرض عنها الشباب!)، ووالله وبالله وتالله؛ لقد جف قلبه، وفرَّخ فيه الشيطان؛ بالله عليكم أيها المسلمون والمسلمات؛ أليس في قوله ﷺ: «**يَنزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنيَا**» حتىٰ آخر الحديث ما يشوق

---

(١) «النزول» للدارقطني (٢٤).

المؤمن والمؤمنة إلىٰ أن يغتنم هذه الساعة من الليل، وهي في آخره، فيحييها بذكر الله، وبالصلاة، وبالدعاء؟!!

أَلَا يحفزه ذلكم علىٰ أن يلجأ إلىٰ الله خوفًا وطمعًا؛ لكن مَن عميت بصيرته، وغشيتها غشاوة الضلال: فإنه لا يفقه من نصوص الشارع شيئًا، ويطلق كلمات الكفر، ويظن بذلك أنه يحسن صنعًا[1]، فينطبق عليه قول الشاعر:

يقضىٰ علىٰ المرء في أيام محنته حتىٰ يرىٰ حسنًا ما ليس بالحسن

ثم من براعة السائل، وحسن تأدبه: أنه سأل الإمام أن يبين له بِالدَّلِيلِ عقيدة السلف الصالحين في هذا الباب؛ وهذا: لأنه متقرر عنده: أن المُعَوَّل عليه في أحكام الله عامة، وفي هذا الباب خاصة: هو الدليل.

والدليل المطلوب هو آي التنزيل الكريم؛ كآيات الاستواء، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]. ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف:٥٤] إلىٰ غير ذلك.

وآيات الصعود -أي: صعود الأشياء إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ وعُروجها إليه-، كقوله تعالىٰ: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج:٤]، وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠].

والدليل الثاني: من السنة؛ فالقرآن والسنة كلاهما يندرج تحت النص،

---

(١) كلمة محمد بن سرور.

فإذا قيل: النص؛ فإنه يشمل القرآن والسنة وأبواب العقائد، خاصة عند أهل السنة فإنهم مجمعون على أنه لا قياس فيها؛ بل العبادات ليس فيها قياس، فالمعول عليه في الاستدلال في العبادات -عملية كانت أو علمية-: هو النص والإجماع والقياس الصحيح بشروطه المعتبرة عند جماهير الأئمة.

وهنا ننبه إلى أمر مهم: وهو أن السائل قال: (**إقرارها وإمرارها**)؛ إقرارها: يعني التسليم لها، وإمرارها: أي: اعتقاد أن ما أفادته هذه النصوص في باب الصفات حق على حقيقته، وهو على ظاهره؛ فإذا قال ربنا ﷻ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه:٣٩]، قلنا: الآية الكريمة نصٌّ في إثبات صفة العين لله ﷻ، وإذا قال ﷻ: ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [المؤمنون:٨٨]، أو قال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، قلنا: ثبت عندنا أن لربنا ﷻ يدين حقيقيتين، وهكذا.

وهنا ننبه إلى قاعدة هامة، **ألا وهي: «الأصل في النصوص: إرادة** الظاهر المتبادر إلى الذهن منها **عند الإطلاق، وَفق اللسان العربي»**.

فإذا تقرر هذا: فهنا قواعد خاصة في نصوص الصفات بعد هذه القاعدة الأولى.

القاعدة الثانية: **يجب على من يثبت الصفات الإلهية أن يتخلى عن** محذورين عظيمين:

أحدهما: التكييف؛ والتكييف: **هو تخيل الصفة على كيفية معينة**، من ذلكم -عافانا الله وإياكم، وصاننا وإياكم من كل سوء ومكروه- لو قال قائل:

إن يد الله تتألف من كذا أصبع، وفي كل أصبع كذا أُنملة، وتجمع الأصابع كف، والكف تنتهي بالرسغ، فالذراع، فالعضد.

فيقال له: كُفَّ وقِف؛ مِن أين لك هذا؟ أعندك دليل علىٰ قولك؟

أنت دخلت في كيفية الله ﷻ، كَيَّفتَ صفة اليد، ومِن أين لك هذا التكييف؟! قلت علىٰ الله بلا حجة ولا برهان، وقد نهاك ربك فقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦].

المحذور الثاني:التشبيه، ويقال: التمثيل، وهو الأكثر؛ لأنه هو الجاري في القرآن. والتمثيل هو اعتقاد تماثل صفات الخالق مع صفات المخلوقين، وثمة آية توضح هذه القاعدة، وتزيدها توكيدًا وهي قول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١].

فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: ردٌّ علىٰ الممثلة، أو المشبهة.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: ردٌّ علىٰ المعطلة، سواء كان التعطيل كليًا -وهو مسلك الجهمية-، أو كان التعطيل جزئيًا -أي: في بعض الصفات، وهو مسلك المعتزلة والأشاعرة، وإن كانوا بينهم اختلاف في ذلك، وهذا سيأتي بسط القول فيه لاحقًا- إن شاء الله تعالىٰ.

القاعدة الثالثة: أنَّ صفات الرب جل جلاله معلومة لنا باعتبار، ومجهولة باعتبار آخر؛ فهي معلومة لنا باعتبار معناها، ومجهولة لنا باعتبار كيفيتها.

«معلومة لنا باعتبار معناها»: وفيه يتكلم السلف، ومن كلامهم في ذلك: تفسيرُهم الاستواء بالارتفاع والاستعلاء، والقصد والاستقرار، وَفق ما جاء في القرآن الكريم؛ فالاستواء جاء علىٰ هذه المعاني، وكذلك تفسيرهم العلو بأن العلو: ضد السُّفل، والنزول هو نزول الشيء كما في اللغة من أعلىٰ إلىٰ أسفل.

أما الكيفية: فلا يخوض السلف فيها أبدًا، ولا يتحدثون فيها إلا من باب التحذير؛ لأن الله سبحانه وتعالى استأثر بعلم كيفية صفاته.

القاعدة الرابعة: «**القول في الصفات، فرع عن القول في الذات**».

فيقال -مثلًا- للمعطل: هل تثبت ذاتًا لله عز وجل ؟

فإن قال: لا؛ كفر؛ لأنه كَذَّب القرآن والسنة والإجماع.

وإن قال: نعم؛ خصم نفسه.

قلنا: قل: تعتقد ذاتًا مجردة عن الصفات؛ فلو قيل لأي إنسان: هل تعتقد ذاتًا معينة مجردة عن الصفات؟

فسيقول: لا، لا يوجد ذات إلَّا ولها صفات. أليس كذلك؟

إذن: ما دمت تعتقد لله ذاتًا؛ فلماذا لا تعتقد له صفاتًا لائقة بجلاله، وتقف هنا خير لك يا أخي؟

لماذا تقحم نفسك في هذه البلية؟

ويقال لمن أرد أن يكيف الصفة، ويقول: صفة ربنا كذا وكذا وكذا: العين فيها الجفون، والجفون لها كذا، ولها شعر، طيب، هل رأيت ذات ربك؟ يقول: لا.

نقول: فما دمت لم تره، ولن تراه في الدنيا وفي الآخرة، إلا إن تبت، وأخلصت إيمانك؛ ستراه -إن شاء الله ﷻ- فكيف تكيف صفاته، وأنت لم تَرَ ذاته؟!

فهذه الأسئلة توجه إلىٰ الخائضين الضالين في هذا الباب.

القاعدة الخامسة: **«القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر»**.

فيقال -مثلًا- لمن أثبت الإرادة والعلم والسمع والبصر: لماذا لا تثبت الرحمة والنزول والعلو؟ لماذا لا تثبتها؟ فهذه صفات، وهذه صفات، والشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كتابٌ نفيس نافع، نافح فيه في هذا الباب نفاحًا عظيمًا، قائما علىٰ الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع، وهو: «القواعد المثلىٰ»، فنوصي بقراءته، ومدارسته بين طلاب العلم وطالباته.



«وأقول: اعلم أنَّ الكلام في الآيات والأحاديث الواردة في الصفات قد طَالَت ذيولُهُ، وتشعَّبَت أطرافه، وتباينت فيه المذاهب، وتفاوتت فيه الطرائق، وتخالفت فيه النِّحَل.

وسبب هذا: عدم وقوف المُنتَسبين إلىٰ العلم حيث أوقفهم الله، ودخولهم في أبواب لم يأذن الله لهم بدخولها، ومحاولتهم لعلم شيء استأثر الله بعلمه، حتىٰ تفرقوا فرقًا، وتشعبوا شعبًا، وصاروا أحزابًا».

الشرح:

هذه الجملة: هي شروع في جواب الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ تلك الأسئلة، ونلحظ ما يأتي ملخصًا:

أولًا: تصدير الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ جوابه بهذه الجملة: «اعلم»: من العلم، وهذه الجملة يصدر بها العلماء أجوبتهم ومصنفاتهم؛ لِمَا فيها من حضِّ السامع، وتهييجه علىٰ الاستماع، وتنبيهه إلىٰ أهمية ما يُلقىٰ إليه؛ فهي في الحقيقة: جملةٌ موجبة للتفطن لِمَا يأتي بعدها من الكلام.

ثانيًا: إشارة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ تشعب أقوال الناس في هذا الباب -أعني: بابَ الأسماء والصفات-؛ فالمتكلمون فيه صنفان:

* منهم: من هو علىٰ الحق المبين.

* ومنهم: من هو علىٰ الضلال المبين.

وعليه؛ فالكلام فيه قسمان: كلام حق وصدق، وكلام باطل.

ثالثًا: ذكره لسبب ضلال من ضلَّ في هذا الباب؛ وهو أنهم لم يقفوا حيث أوقفهم الله ورسوله، وهذه من خصائص أهل السنة؛ فأهل السنة علامتهم وسِمتهم البارزة عند تلقي أحكام الله -سواءً كان ذلك في العبادات العملية، أو العلمية، أو الاعتقادية- هم دائمًا مع النصوص، فالنصوص هي متبوعهم، وهي إمامهم، فإذا أمرهم الله ورسوله: ائتمروا، وإذا نهاهم الله ورسوله: انتهوا، وإذا أخبرهم الله ورسوله: صدَّقوا، يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧].

فلم يطلبوا أمرًا زائدًا علىٰ ما جاءت به النصوص؛ إذ إن حد العلم الشرعي عند أهل السنة: هو فقه الكتاب الكريم، وفقه سنة النبي ﷺ، وعلىٰ فهم السلف الصالح، فهذه ثلاثة أمور، سعد أهل السنة بها دون غيرهم، فلا توجد إلا عندهم، وهي: أدلتهم من الكتاب، وأدلتهم من السنة، واستعمال أدلتهم من الكتاب والسنة علىٰ فهم السلف الصالح؛ وذلكم لأن سيرة السلف الصالح وفهمهم -رحمة الله عليهم أجمعين-: هي تطبيقٌ عمليٌّ تام لفقه النصوص.



«وكانوا في البداية، ومحاولة الوصول إلىٰ ما يتصورونه من العامة: مختلفي المقاصد، متبايني المطالب:

فطائفة -وهي أخف هذه الطوائف المتكلفة علم ما لم يُكلِّفها الله سبحانه بعلمه إثمًا، وأقلُّها عقوبة وجُرمًا، وهي التي أرادت الوصول إلىٰ الحق، والوقوف علىٰ الصواب؛ لكن سلكت في طريقة متوعرة، وصعدت في الكشف عنه إلىٰ عقبة كئود، لا يرجع من سلكها سالمًا، فضلًا أن يظفر فيها بمطلوب صحيح، ومع هذا؛ أصَّلُوا أصولًا ظنوها حقًّا، فدفعوا بها آيات قرآنية، وأحاديث صحيحة نبوية، واعتلوا في ذلك الدفع بشبه واهية، وخيالات مختلة، وهؤلاء طائفتان:

الطائفة الأولىٰ: وهي الطائفة التي غلت في التنزيه، فوصلت إلىٰ حدٍّ يقشعرُ عنده الجلد، ويضطرب له القلب، من تعطيل الصفات الثابتة بالكتاب والسنة ثبوتًا أوضح من شمس النهار، وأظهر من فلق الصباح، وظنوا هذا من صنيعهم موافقا للحق، مطابقًا لما يريده الله سبحانه، فَضَلُّوا الطريق المستقيم، وأضلوا من رام سلوكها».

الشرح:

شرع المصنف في الكشف والبيان عن طوائف الضلال؛ فبدأ بطائفة التعطيل.

والتعطيل في اللغة معناه: الإخلاء؛ يقال: هذا معطل؛ أي: خالٍ، ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ﴾؛ أي: خالية.

ومعناه عند أهل الشرع: هو نفي ما هو حق لله عنه، مما يجب فيه اعتقاده، من أسمائه وصفاته.

واعلموا أن أهل التعطيل طوائف:

الطائفة الأولىٰ: الجهمية؛ وهؤلاء نفوا عن الرب جَلَّالَهُ **ما جاءت به آي** التنزيل، وسنة النبي ﷺ من أسمائه وصفاته، وهؤلاء: **هم أتباع جهم بن** صفوان؛ الذي أخذ هذا المذهب عن الجعد بن درهم، **والجعد أخذه عن** بعض اليهود.

الطائفة الثانية من أهل التعطيل: المعتزلة؛ أتباع واصل بن عطاء الغزَّال، والمعتزلة: أثبتوا الأسماء؛ لكن أثبتوها مجردة من المعاني، **فهم نفاة** في الصفات، مثبتة للأسماء؛ لكن علىٰ وجه مجرد، **خالٍ مما تضمنته أسماء** الرب عَزَّوَجَلَّ من أوصاف الكمال والجمال والجلال، **وموجب الحمد والمجد** **له** سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

الثالثة: الأشاعرة؛ وهم في الحقيقة: معتزلة؛ **إلا في سبع صفات، منها:** **السمع**، والبصر، والعلم، والإرادة، والقدرة، **وهذه الصفات أثبتوها بحجة** **أن العقل يثبتها.**

وهنا سؤال: **ما الذي حمل أهل التعطيل علىٰ مسلكهم هذا؟**

والجواب: أن المعطل شبَّه أولًا، فلما انقدح في ذهنه مماثلة الخالق للمخلوق، وكان لزامًا عليه التنزيه، عطَّل؛ فهو شبَّه أولًا، ثم فرَّ إلىٰ أمر آخر، وهو: التعطيل. ولهذا يقولون: «كل معطل هو في الأصل مشبه»؛ لأنه ما حمله علىٰ هذا التعطيل إلا اعتقاد أن إثبات صفات الرب ﷻ: هو مشابهة لصفات المخلوق.

فيقول -مثلا-: المخلوق له سمع وبصر، وله رحمة، المخلوق كذا، المخلوق كذا، إذن: هذا لا يليق بالله ﷻ.

وهذا منشؤه: جعل العقل إمامًا، والنصوص تابعة للعقل، وهكذا كل من جعل عقله إمامًا له، وضرب صفحًا عن نصوص الكتاب والسنة، نهاية أمره الضلال، ومقارنة لهذه الطوائف ببعضها: نجد أن أشدها الجهمية، ثم المعتزلة، ثم الأشاعرة.

فأي قول لا يوافق نصًّا ولا إجماعًا: فهو مردود، ومن هنا يجب التنبيه إلىٰ أن أهل السنة والجماعة -وهم السلفيون-: يَزِنُون ما يرد عليهم من أقوال الناس وأعمالهم بميزانين، وهذان الميزانان هما: النص والإجماع، فما وافق نصًّا، أو إجماعًا: قُبل، وما خالف نصًّا، أو إجماعًا: رُدَّ عليه كائنًا من كان؛ لأن مقصد أهل السنة: هو إخلاص التدين لله ﷻ، فهم يسعون في أن يكون تدين العباد خالصًا لله تعالىٰ، ويحرصون علىٰ الدعوة إلىٰ ذلك، ولا يزال الشوكاني رحمه الله يكشف شيئًا فشيئًا عن ضلال هؤلاء، ونهاية أمرهم.

«والطائفة الأخرىٰ: هي غلت في إثبات القدرة غلوًّا، بلغ إلىٰ حدٍّ أنه لا تأثير لغيرها، ولا اعتبار بما سواها، وأفضىٰ ذلك إلىٰ الجبر المحض، والقسر الخالص».

الشرح:

هنا يذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الجبرية، وهم من الجهمية.

والجبر معناه: الإكراه والإرغام؛ أُجبِر علىٰ الشيء؛ أي: أُرغِم عليه، وأُكرِه عليه.

فالجبرية: غلت في إثبات القدر، حتىٰ سلبوا العبد اختياره، وأنه لا اختيار له، وأن أفعاله وأقواله أشبه بحركات المرتعش، أو أشبه بالغصن الذي تميله الرياح يمينًا وشمالًا؛ فقالوا: العبد مجبور.

ولازم هذا: أن الله كلَّف العباد بما لا طاقة لهم به، وأنه أرغمهم علىٰ ما لا يريدون؛ لأنهم يرون أن فاعل الشيء مجبَر مرغَم، وهذا مردود بما أشار إليه الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بأنه لو كان العبد مجبرًا: ما أنزل الله الكتب، وبعث الرسل، وما رتَّب علىٰ اتِّباع الرسل الثواب، وعلىٰ مخالفتهم العقاب؛ لأن المجبر لا إرادة له.

وأما أهل السنة: فإنهم يصفون العبد بأنه مريد مختار، فهو يفعل باختياره، ويترك باختياره، والدليل معهم، قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس:٧-٨]؛ أي: هيأ لها ما تملك به النفس الإرادة والاختيار، وتعرف سبيل الفجور، وتعرف سبيل التقوىٰ.

وقال تعالىٰ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠]؛ أي: عرفناه طريق الخير، وطريق الشر.

وقال جل جلاله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣].

وبهذا أنزلت الكتب، وجاءت الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، فلو كانوا العباد مجبورين: لَمَا كان لإنزال الكتب، وبعث الرسل فائدة؛ لأن العبد مجبور.

ومن لوازم قولهم: أن شارب الخمر مجبر عليه، وأن عقابه عبث، وهكذا كل فاعل فاحشة وكبيرة.

وهذا هو في الحقيقة: نهاية الجهل والقصور في العلم؛ فلو كان هؤلاء أخذوا العلم، ووقفوا حيث أوقفتهم النصوص: ما ضلوا هذا الضلال المبين، وما قرَّروا هذا المذهب الفاسد، الذي هو مردود بالكتاب وبالسنة وبالإجماع.

والجبرية: تسمىٰ قدرية غلاة في القدر؛ إذ أثبتوا القدر إثباتًا، سلبوا به العبد حريته واختياره.

والله سبحانه وتعالىٰ قد أخبر في صريح كتابه أيضًا: أن العبد له مشيئة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]؛ فأثبت للعبد مشيئة،

ولكن مشيئته تابعة لمشيئة الله؛ بمعنىٰ: أن الله ﷻ علم، وكتب عنده في اللوح المحفوظ ما العباد عاملون، وهو ﷻ من واسع فضله عليهم وجوده وكرمه: أنه بيَّن لهم ما به يتقون.

أمرهم ونهاهم وبيَّن لهم ما فيه هدايتهم، وفيه ضلالهم، وأعطاهم الحرية والقدرة، فالذي فعل ما فعل من المعاصي: فعلها باختياره، وقدرته، والذي فعل ما فعل من الطاعات كذلك: فعل ذلك بإرادته واختياره، وذاك كله مكتوب، ومعلوم لربنا ﷻ، سبق به علم ربنا ﷻ، وكتابته في اللوح المحفوظ.

هذه الطائفة الأولىٰ، وهي طائفة ثانية من طوائف الضلال، الذين ضلُّوا عن الهدىٰ ودين الحق، وتركوا فقه النصوص جانبًا، وحَكَّموا عقولهم وآراءَهم.



«فلم يبقَ لبعث الرسل، وإنزال الكتب: كثير فائدة، ولا يعود ذلك على عباده بعائدة.

وجاءوا بتأويلات الآيات البينات، ومحاولات لحُجَج الله الواضحات، فكانوا كالطائفة الأولىٰ في الضلال والإضلال، مع أن كلا المقصدين صحيح، ووجه كلٍّ منهما صبيح؛ لولا ما شانه من الغلو القبيح».

الشرح:

كلام الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ سبيل العموم، وأما من حيث النظر فإن مؤسسي الضلال مقاصدهم فاسدة؛ فالجهم وشيخه الجعد؛ مقاصدهم فاسدة؛ لأن الجهم أخذ ما أخذ عن الجعد، والجعد أخذ ما أخذ عن اليهود.

والمعتزلة أخذت ببعض أصول الجهمية، فقد يكون لهم مقصد صحيح.

فالصواب: التفصيل؛ فَمُؤَسِّسو الضلال مقاصدهم فاسدة، أما الأتباع: فقد لا يتفطنون إلىٰ المقاصد، يظنون هذا من الحق والهدىٰ، وهو من الضلال والباطل، فينبغي التفصيل في هذا.



«وطائفة توسطت، ورامت الجمع بين الضَّبِّ والنُّون، وظنت أنها وقفت بمكان، بين الإفراط والتفريط، ثم أخذت كل طائفة من هذه الطوائف الثلاث تُجادل وتُناضل، وتُحقق وتُدقق في زعمها، وتجولُ علىٰ الأخرىٰ، وتصولُ بما ظفرت، مما يوافق ما ذهبت إليه، و﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]، وعند الله تلتقي الخصوم.

ومع هذا: فهم متَّفقون فيما بينهم علىٰ أن طريق السلف أسلم؛ ولكن زعموا أن طريق الخلف أعلم، فكانوا غاية ما ظفروا به من هذه الأعلميَّة لطريق الخلف: أن تَمَنَّىٰ محققوهم وأذكياؤهم في آخر أمرهم دين العجائز، وقالوا: هنيئًا للعامة!

فتدبر هذه الأعلمية التي حاصلها: أن يهنئ من ظفر بها للجاهل؛ لأهل الجهل البسيط، ويتمنَّىٰ أنه في عِدادهم، وممن يدين بدينهم، ويمشي علىٰ طريقهم، فإن هذا ينادي بأعلىٰ صوت، ويدل بأوضح دلالة: علىٰ أن هذه الأعلمية التي طلبوها: الجهل خير منها بكثير، فما ظنك بعلم يُقرُّ صاحبه علىٰ نفسه أن الجهل خير منه، وينتهي عند البلوغ إلىٰ غايته، والوصول إلىٰ نهايته أن يكون جاهلًا به، عاطلًا عنه.

ففي هذا: عبرة للمعتبرين، وآية للناظرين، فهلَّا عملوا علىٰ جهل هذه المعارف التي دخلوا فيها بادئ بدء، وسَلِمُوا من تبعاتها، وأراحوا أنفسهم من تَعَبِهَا، وقالوا كما قال القائل:

أَرَىٰ الأمرَ يُفضِي إلىٰ آخِرٍ ... يُصيِّرُ آخِرَهُ أوَّلا

«وربحوا الخُلوص من هذا التَّمَنِّي، والسلامة من هذه التهنئة للعامة؛ فإن العاقل لا يتمنَّىٰ رتبة مثل رتبته أو دونها، ولا يُهنئ لمن هو دونه أو مثله، ولا يكون ذلك إلا لمن رتبته أرفع من رتبته ومكانه أعلىٰ من مكانه.

فيا لله العجب! من علم يكون الجهل البسيط أعلىٰ رتبة منه وأفضل مقدارًا بالنسبة إليه، وهل سمع السامعون مثل هذه الغريبة أو نقل الناقلون ما يماثلها أو يشابهها؟!

وإذا كان حال هذه الطائفة التي قد عرفناك أخف هذه الطوائف تكلفًا وأقلها تبعة، فما ظنك بما عداها من الطوائف التي قد ظهر فساد مقاصدها وتبين بطلان مواردها ومصادرها؛ كالطوائف التي أرادت بالمظاهر التي تظاهرت به إكبار الإسلام وأهله، والسعي في التشكيك فيه بإيراد الشُّبَه وتقرير الأمور المفضية إلىٰ القدح في الدين وتنفير أهله عنه.

وعند هذا تعلم أن:

خَيرَ الأمورِ السَّالِفَاتُ عَلَىٰ الهُدَىٰ ... وَشَرَّ الأمور المُحدَثَاتُ البَدَائِعُ[1]»

الشرح:

واصل الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كشف ضلال الضالين، وبيان حال الزائغين عن سبيل المؤمنين؛ لأنهم تركوا التنزيل الكريم، وتركوا سنة النبي ﷺ

---

(١) ديوان ابن مشرف (٦٣).

وأصَّلوا أصولًا وقواعد انتهت بهم إلىٰ الضلال.

فالطائفة المتوسطة وهم الأشاعرة؛ أخذوا شيئًا من مذهب السلف، وأخذوا شيئًا من مذهب الخلف؛ فأثبتوا من الصفات ما أثبتوا؛ بحجة أن العقل يثبتها، وهم يزعمون أنهم أصابوا، وهم في الحقيقة علىٰ **تأصيلات** المعتزلة، وعلىٰ أصول المعتزلة، والمعتزلة وارثة للجهمية؛ **فإذن**: السلسلة هكذا: أشعرية وارثة للمعتزلة، ومعتزلية وارثة للجهمية، **فضال يرث عن** ضال، وضال يرث عن ضال، وهكذا.

ثانيًا: يذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقولة إذا نظرت في واقع أهل الضلال إلىٰ اليوم، تجدهم متفقين عليها حربًا للسنة وأهلها، وهو قولهم: طريقة السلف: أسلم، وطريقة الخلف: أعلم وأحكم؛ ومعنىٰ هذا: أن طريقة السلف: سلامة، يعني: ليس فيها العلم! كأنها طريقة دراويش لا لهم ولا عليهم، وطريقة الخلف: أعلم وأحكم.

فيُرد عليهم من وجهين:

أولًا: أنه لا سلامة تامة دون علم وحكمة.

ثانيًا: دلالة القرآن والسنة والإجماع علىٰ أن طريقة السلف -وهم أصحاب النبي ﷺ، ومن بعدهم من أئمة التابعين، وسائر القرون المفضلة، ومن سلك سبيلهم-: هي أعلم، وأسلم، وأحكم.

وثمة وجه ثالث: أن رءوسًا من الأشاعرة تمنوا أنهم ماتوا علىٰ دين

العجائز، أو دين أمهاتهم، منهم الجويني، وكذلك الرازي صاحب التفسير؛ الذي قال فيه ابن تيمية: «فيه كل شيء إلَّا التفسير»، هكذا تمنوا أنهم لم يخوضوا في هذا؛ حتىٰ أن أحدهم قال: مكثت أربعين يومًا لا أدري ما أعبد!

وإذا نظرت ستجد كل أهل الضلال متفقون عليها اليوم؛ فهل يوصف علماؤنا الذين شهدوا لهم العامة والخاصة بالرسوخ في العلم، وجلالة القدر، والفقه في الدين، وخالص النصح للأمة، يقال فيهم عبارات مثل هذه: (لا يفقهون الواقع، لا يعرفون من الدين إلا دخول الشهر وخروجه، ولا يعرفون من الفقه إلا فقه الحيض والنفاس؟).

أتدرون من سلف هؤلاء؟

سلفهم: واصل بن عطاء، وغيرهم من ضُلَّال المعتزلة.

وقد قال أحد ضلال الصوفية المحترقة: (العلماء قسمان: علماء شرع، وعلماء حقيقة)، واليوم يقولون: فقهاء واقع، وغير فقهاء واقع، فالعبارات متشابهة.

ثم نبَّه الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تنبيهًا لطيفًا: وهو أن عِلمًا يوصل صاحبه إلىٰ أن يتمنىٰ الموت علىٰ عقائد العجائز -يعني: علىٰ الفطرة- فالجهل خير منه، وهذا ما اتفق عليه الأئمة من النهي عن الخوض في الكلام؛ حتىٰ أن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال في المتكلمين: «حكمي في أهل الكلام: أن يضربوا بالجريد، ويحملوا علىٰ الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، وينادىٰ

عليهم: هذا جزاء من ترك السنة وأخذ في الكلام»(١)؛ لأن الدين: آية من كتاب الله، أو حديثٌ صحيح من سنة رسول الله ﷺ، أو إجماع أئمة الهدى والعلم والإيمان في عصر من العصور، بعد رسول الله ﷺ على أمر شرعي.



(١) رواه البيهقي في «مناقب الشافعي» (١/ ٤٦٢)، وابن حجر في «توالي التأسيس» (١١١)، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (١٤٣).

«وأن الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة: هو ما كان عليه خير القرون، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

الشرح:

هذا الكلام إشارة إلىٰ ما أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خَيرُ النَّاسِ قَرنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ يَجِيءُ قَومٌ: تَسبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِم يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**»[1] الحديث.

هذا الحديث: شهادة من الصادق المصدوق ﷺ للثلاثة القرون الأولىٰ بالخيرية:

فالقرن الأول: هم أصحابه رضي الله عنهم.

والقرن الثاني: التابعون؛ يعني: الأئمة الخيار منهم.

والقرن الثالث: أتباع التابعين.

والقاعدة: أن الثناء علىٰ قومٍ: هو حضٌّ علىٰ التأسي بهم، والاقتداء بهم، والسير علىٰ هديهم؛ ولهذا قال أهل العلم: إذا أطلق لفظ السلف الصالح:

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الشهادات، باب لا يشهد علىٰ شهادة جور إذا شهد، ح:٦٦٥٨)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ح: ٢٦٥٢).

فإنه لا ينصرف إلَّا إلىٰ هذه القرون الثلاثة المفضلة، **ثم من بعدهم إذا كان** علىٰ ما هم عليه فهو منهم.

«وقد كانوا -رحمهم الله وأرشدنا إلىٰ الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم- يمرون أدلة الصفات علىٰ ظاهرها ولا يتكلفون علم ما لا يعلمون ولا يتأولون».

الشرح:

وهذا المقصود منه شيئان:

الأول: إثبات صفات الرب ﷻ وعلىٰ وفق ظاهر النصوص.

وهذا هو ما يتكلم به السلف في الصفات، من حيث معناها علىٰ مقتضىٰ اللغة العربية التي جاء بها القرآن والسنة.

الثاني: الإمساك عمَّا لا علم لهم به؛ يعني: الكيفية؛ فإن الكيفية محجوبة عن البشر؛ بل حتىٰ عن الملائكة، لا يعلم كيفية ذاته سواه ﷻ.

فالصفات لها كيفية؛ لكن هذه الكيفية حجبها ربنا ﷻ عنا، فنحن لا نروم ما حجبه الله ﷻ عنا، ولا نخوض فيه تأدبًا مع الله ﷻ، واتباعًا لكتابه وسنة رسوله ﷺ، وأخذًا بسيرة السلف الصالح.

وما أجمل وما أروع ما جاء عن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال له رجل: يا أبا عبد الله؛ الرحمن علىٰ العرش استوىٰ، كيف استوىٰ؟

فأطرق الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ساعة حتىٰ علاه الرحضاء؛ يعني: شدة العرق استنكارًا لهذا السؤال، ثم قال: «الاستواءُ معلوم، والكيفُ مجهول -وفي

رواية: غير معقول- والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

ثم بعد هذا الجواب المحكم المتقن القوي، قال: «وأنت رجل سوء صاحب بدعة، أخرجوه»[(١)] فطرده من حلقته؛ مخافة أن يفتن الناس.

وروي مثل هذا عن شيخه ربيعة بن عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)] ومشى السلف على هذا، فقرروا ما أسلفنا ذكره، من أن الصفات معلومة باعتبار المعنى، ومجهولة باعتبار الكيفية.



(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٠٤، أثر:٨٦٦)، وأورده الذهبي في «العلو» (١٠٣)، وصححه، وذكر نحوه ابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٣٨)، (٧م١٥١).

(٢) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٣/ ١٦٣، رقم:١٢١)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ٣٩٨، رقم:٦٦٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٠٦، رقم:٨٦٨)، والذهبي في «العلو» (٩٨)، وصححه الألباني في مختصره (١٣٢، رقم:١١١).

«وهذا المعلوم من أقوالهم وأفعالهم، والمتقرر من مذاهبهم، لا يشك فيها شاك، ولا ينكره منكر، ولا يجادل فيه مجادل، وإن نزغ بينهم نازغ، أو نجم في عصرهم ناجم: أوضحوا للناس أمره، وبينوا لهم أنه على ضلالة، وصرحوا بذلك في المجامع والمحافل، وحذروا الناس من بدعته».

الشرح:

فأهل السنة يردون على المخالف قوله، ولا يقبلون المخالفة من أي أحد، وقد أسلفت لكم أن غرضهم: إخلاص التدين لله، وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ، ثم إن كان هذا المخالف أصله على السنة: حفظوا كرامته، وصانوا عرضه، مع ردهم قوله.

وأما إن كان المخالف من أهل البدعة: فإنهم يُتبِعون ذلك بالتشنيع عليه، والتحذير منه؛ حتى لا يغتر به الناس، فأهل السنة ليس لهم قصد على المردود في ذاته؛ إنما مقاصدهم من الرد على المبتدعة والضُّلَّالِ ثلاثة:

أحدها: ما قدمته، وهو إخلاص التدين لله، وتجريد المتابعة للنبي ﷺ.

وثانيها: الحيلولة بين أهل الضلال وبين أهل السنة؛ حتى لا يفسدوا عليهم دينهم.

والثالث: هو إقامة الحجة على المعاند المكابر، الذي يعرف الحق معرفة كالشمس في رابعة النهار، ثم يأبى إلا ما أُشرب من هواه.

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أشار إلىٰ هذا قال: «**إذا نجم بينهم ناجم**»؛ يعني: من أهل الضلال «**أو نزغ بينهم نازغ**»؛ يعني: ظهر «**كشفوا حاله للناس**».

والمشاهد من خلال النظر في تاريخ أهل السنة مع مخالفيهم: أن الله تَعَالَىٰ ينصر صاحب السنة، ويعلي مقامه، ويرفعُ ذكره، ولو بعد حين، حتىٰ ولو بعد موته؛ فيذكر بخير، ويرجع الذامون له حامدين، والساخطون له راضين عنه، ويحسنون عليه الثناء.

وأما من كان علىٰ الضلالة، وأظهر السنة تسترًا: **فإن الله يفضحه**، ويعرِّيه، ويهتك ستره؛ فكم من ضال أظهر للناس وجهًا حسنًا جميلًا جذابًا، ويستدل لذلك بالكتاب والسنة، ثم بعد ذلك يفضحه الله عَزَّ وَجَلَّ ؛ لأنه كذاب، ليس علىٰ السنة ظاهرًا وباطنًا.



«كما كان منهم لما ظهر معبد الجهني وأصحابه، وقالوا: إن الأمر أنف، وبينوا ضلالته، وبطلان مقالته للناس، فحذروهم إلا من ختم الله علىٰ قلبه، وجعل علىٰ بصره غشاوة».

الشرح:

هنا التنبيه إلىٰ الطائفة الثانية من طائفتي القدرية؛ فالوصف بالقدرية يصدق علىٰ طائفتين:

إحداهما: المجبرة، أو الجبرية؛ سموا قدرية: لأنهم غلوا في إثبات القدر حتىٰ سلبوا العبد إرادته واختياره، وقالوا: إنه مجبور.

والطائفة الثانية: القدرية؛ نفاة القدر، وهم القائلون: لا قدر، والأمر أُنف؛ والمعنىٰ: الأمر مستأنف، ويتلخص معتقدهم هذا في أن الله من شأنه أن يأمر وينهىٰ ولم يعلم بأعمال العباد، ولم يكتبها، وهؤلاء هم غلاتهم؛ تعالىٰ عما يقولون علوًّا كبيرًا، وهذه بدعة ومجانبة النصوص واتباع العقل.

وخلاصة هذا المعتقد: أن الله يأمر وينهىٰ فقط، ولم يعلم ما الخلق عاملون، ولم يكتبه عنده في اللوح المحفوظ، هؤلاء هم الغلاة فيهم وهؤلاء كفار بإجماع أهل العلم.

ومنهم من يثبت العلم والكتابة؛ لكن ينكر المشيئة، وخلق الله لأفعال العباد، وقد ردَّ عليهم البخاري بكتابه «خلق أفعال العباد»، ورد عليهم

بكتاب «القدر» من صحيحه، وهذا يتلخص في أمرين:

الأمر الأول: الإشارة إلىٰ نشأة القدرية نفاة القدر، وأن إمامهم: هو معبد ابنُ خالد الجهني بالبصرة، وقد قال مقولته هذه في آخر عصر الصحابة.

الأمر الثاني: كيف واجه أهل الإسلام والسنة في ذلك الوقت هذه المقولة؟

وأذكر لكم ثلاثة أشياء:

أولًا: أنهم مقتوها واستنكروها؛ لأنها خالفت ما عرفوه وألفوه من كتاب ربهم، وسنة نبيهم التي تلقوها عن الصحابة رضي الله عنهم.

ثانيًا: انبرىٰ من القوم رجلان فقالوا: لعلنا نلقىٰ رجلًا من أصحاب محمد ﷺ نسأله عن ذلك، فجمع الله بينهما وبين عبد الله بن عمر رضي الله عنه فقالوا: يا أبا عبد الرحمن؛ إن قومًا قِبَلنا يقولون كذا وكذا، فقال: «**أخبروهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والله لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبًا، فأنفقه في سبيل الله: ما تقبله الله منه؛ حتىٰ يؤمن بالقدر خيره وشره**».

ثم ساق الحديث المعروف بحديث جبريل ﷺ، وهو من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في صحيح مسلم[(١)]، وغيره[(٢)].

ثالثًا: انبراء هذين الرجلين من ذلك المجتمع البصري الذي استنكر

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام وأشراط الساعة، ح:١١).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السنة، باب القدر، ح:٤٦٩٥)، والترمذي (كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام، ح:٢٦١٠).

هذه المقولة: يدل علىٰ عناية السلف الصالح بأمر العقيدة، واهتمامهم بها، ونُفورهم من كل أمر يقدح بالعقيدة؛ لأنه متقرر عندهم: أن صحة العقيدة هو أصل الدين وأساسه، وبهذا تعلمون أن من يهون أمر العقيدة، ويتساهل فيه: هو أحد رجلين لا ثالث لهما:

* رجل جاهل، لا يعرف الدعوة إلىٰ الله علىٰ بصيرة، يتبع كل ناعق.

* ورجل سوء، صاحب هوىً، مبتدع، ضال، يعلم أنه ما دامت عقيدة التوحيد والسنة قوية في أهلها: فإنه لا يستطيع الوصول إليهم؛ وإنما يصل إليهم إذا ضعفت في نفوسهم، وهذا الصنف من الناس: يظهر أولًا بعبارات مزخرفة، وأقوال مجملة، تُظهر أنه علىٰ العقيدة الصحيحة، والدعوة الصحيحة؛ حتىٰ يستميل قلوب الناس إليه، ويكسب ثقتهم، وينال عندهم منزلة قوية، ثم بعد ذلك: يلتف عليهم التفاف الثعبان علىٰ فريسته، ويقذف فيهم بحمم البدع والمحدثات، وقلَّ أن يتخلَّص منه أتباعه.

وما أجمل ما قاله المفضل بن مهلهل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لو أن صاحب البدعة يحدِّثك في أول أمره ببدعته: لنفرت منه، وحذرته، ولكنه يحدِّثك في بدو أمره بالسنة، ثم يدخل عليك من بدعته، فلعلها تلزم قلبك فما تفارق قلبك**».

انظروا لَمَّا حدَّث معبد بن خالد الجهني -مؤسس مقالة القدر الفاجرة- الناس بها ما قبلوها منه أبدًا؛ قالوا: هذا ليس بصحيح؛ هذا ليس في كتاب

ربنا، وليس في سنة نبينا، وما عرفناه من أصحاب نبينا، **ولا من أئمتنا؛ من** أين جئت بهذا؟

لكن أتىٰ بعده رءوس، دغدغوا عواطف الناس، **فحدثوهم بالسنة شيئًا** فشيئًا، حتىٰ أُمن جانبهم، ثم صاروا يدخلون عليهم البدع شيئًا فشيئًا.



«وهكذا كان من بعدهم يوضح للناس بطلان أقوال أهل الضلال، ويحذر منها، كما فعله التابعون -رحمهم الله- بالجعد بن درهم، ومن قال بقوله، وانتحل نحلته الباطلة.

ثم ما زالوا هكذا؛ لا يستطيع المبتدع في الصفات أن يتظاهر ببدعته؛ بل يكتمونها، كما تتكتم الزنادقة بكفرهم، وهكذا سائر المبتدعين في الدين، علىٰ اختلاف البدع، وتفاوت المقالات الباطلة».

الشرح:

وهذه لفتة من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو علىٰ سنن وسمت مَن مضىٰ قبله من أئمة الهدىٰ، والعلم والإيمان، وهذه اللفتة: أنه إذا قويت شوكة أهل السنة، وقوي سلطانهم: ضعف أهل البدع، حتىٰ أنهم يتكتمون علىٰ بدعهم، فهم بين الناس مطأطئة الرءوس، فإذا ضعف سلطان أهل السنة: ضعفت السنة في أهلها، وأصبحوا لا يغارون عليها، ولا يصدعون بها؛ وهنا يظهر أهل البدع، ويفترسون الناس افتراسًا.

من طريف ما يروىٰ: أن الخليفة المأمون العباسي، قال: «لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرت أن القرآن مخلوق»[1].

انظروا خليفة يخشىٰ عالمًا؛ لأن ذلك العالم علىٰ السنة بالحكمة والموعظة

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٣٧).

الحسنة، ويعلمها الناس، ويذب عنها، فخشيه الخليفة؛ فلما مات يزيد بن هارون: أظهر ما كان يبطنه، بتأثير بِشرٍ وأضرابه من شيوخ المعتزلة الضلال، وفتن الناس، وامتحنهم، ولقي منه أهل السنة ما لقوا من القتل والحبس والتشريد والإذلال والإهانة.

«ولكنا نقتصر -هاهنا- علىٰ الكلام في هذه المسألة، التي ورد السؤال عنها، وهي: مسألة الصفات، وما كان من المتكلمين فيها بغير الحق، المتكلفي علم ما لم يأذن الله بأن يعلموه، وبيان: أن إمرار أدلة الصفات علىٰ ظاهرها هو مذهب السلف الصالح، من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وأن كل من أراد من نُزَّاع المتكلفين، وشُذَّاذ المحدِثين والمتأولين أن يظهر ما يخالف المرور علىٰ ذلك الظاهر: قاموا عليه، وحذروا الناس منه، وبينوا لهم أنه علىٰ خلاف ما عليه أهل الإسلام.

وسائر المبتدعين في الصفات، القائلون بأقوال تخالف ما عليه السواد الأعظم، من الصحابة والتابعين وتابعيهم، في خبايا وزوايا، لا يتصل بهم إلا مغرور، ولا ينخدع بزخارف أقوالهم إلا مخدوع.

وهم مع ذلك علىٰ تخوف من أهل الإسلام، وترقب لنزول مكروه بهم من حماة الدين، من العلماء الهادين».

الشرح:

لا يزال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يؤصل لأمرين:

الأمر الأول: مسألة الصفات، وكيف كان السلف يقفون من نصوصها، وأنهم يمرونها علىٰ ظاهرها، ولا يتكلفون ما وراء ذلك، وهو الخوض في الكيفية.

الأمر الثاني: موقفهم ممن يَشِذ ويرفع عقيرته بالبدعة؛ **فإنهم يحذرون** منه.

وثمة **أمرٌ ثالث**: وهو أنه لا يركن إلىٰ هؤلاء المبتدعة إلا المغرورون المخذولون؛ وسببُ غرورهم وخذلانهم، يرجع إلىٰ أحد أمرين: **إما الجهل** بالسنة، وإما الهوىٰ.

وأظن أن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشيرُ بهذا إلىٰ ما عرفه السلف من هدي رسول الله ﷺ، وهو الحذر من أهل البدع، سواء كانت البدع في الصفات، أو في غيرها، قال ﷺ: «**سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ، يُحَدِّثُونَكُم مَا لَم تَسمَعُوا أَنتُم وَلَا آبَاؤُكُم؛ فَإِيَّاكُم وَإِيَّاهُم**» أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه[1]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وفي صحيح البخاري عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ**: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧] الآية، فقال: **إِذَا رَأَيتم الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنهُ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ، فَاحذَرُوهُم**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء، والاحتياط في تحملها، ح:٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب: منه آيات محكمات، ح:٤٥٤٧)، ومسلم (كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن..، ح:٢٦٦٧).

والنقل عن أصحابِ النبي ﷺ ومن بعدهم، بالتحذير من البدع، والتحذير من أهل البدع، ومفاصلة المبتدعة: متواتر؛ وهذا لأنه متقرر عندهم أن الأصل: هو الحذر من البدع وأهلها.

الحذر من البدع لما تحدثه في الدين من إفساد، والحذر من أهلها: لأنهم هم دعاة الإفساد في الدين، وتغيير دين الله علىٰ أهله.



«وهم مع ذلك علىٰ تخوف من أهل الإسلام، وترقُّب لنزول مكروه بهم من حماة الدين، من العلماء الهادين، والرؤساء والسلاطين، حتىٰ نجم ناجم المحنة، وبَرَقَ بَارِقُ الشَّرِّ من جهة العباسية، ومن لهم في الأمر والنهي، والإصدار والإيراد أعظم صولة؛ وذلك في الدولة بسبب قاضيها أحمد بن أبي دؤاد، فعند ذلك أطلع المنكسون في تلك الزوايا رءوسهم، وانطلق ما كان قد خرس من ألسنتهم، وأعلنوا بمذاهبهم الزائفة، وبدعهم، ودعوا الناس إليها، وجادلوا عنها، وناضلوا المخالفين لها، حتىٰ اختلط المعروف بالمنكر، واشتبه علىٰ العامة الحق والباطل، والسنة والبدعة».

الشرح:

يشير الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ الفتنة العظيمة، والمِحنة الجسيمة، التي امتحن بها المأمون ابن هارون الرشيد، وجملة من أبنائه، وأحفاده أهلَ السنة، وأعلوا أهل البدع، ورفعوا مقامهم، وعظموا شأنهم، وأذلوا أهل السنة، وأهانوهم.

وتلك المحنة هي فتنة القول بخلق القرآن، وهذه بدأت من بشر بن غياث المريسي -شيخ المعتزلة في زمانه-، وأحمد بن أبي دؤاد إما معاون له، وإما وارث له، وليس كما ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فالأمر من قبل.

وكان للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيال هذه الفتنة العظيمة موقفان عظيمان، لا ينساهما أهل السنة:

الموقف الأول: حيال هذه الفتنة، وما يجب من القول فيها؛ فإنه أنكرها، وأبان بالدليل بطلانها، وأنها كفر، ودلل على أن القرآن: كلام الله منزل، غير مخلوق.

الموقف الثاني: موقفه من الخليفة، وممن جاء بعده من أبنائه، وأحفاده الذين ورثوا هذه المقالة، واحتووها، وساروا على نهج أبيهم الفاسد الضال عن النهج القويم؛ فهذه المقالة الكفرية ما حملت الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الطيش والمجازفة في القول؛ بل كان يقول: (أمير المؤمنين)، ويدعو له، ويحرض الناس على ألَّا يخرجوا عليه، مع أنه حبس وضرب وأوذي، كما أوذي غيره من أئمة السنة في ذلك الوقت.

واليوم التكفير جزافًا بلا هوادة، في المجالس الخاصة والعامة، عند أهل الأهواء، في المحافل العامة، في المحاضرات، في الخطب، في الندوات، في المقالات الصحفية، وغير ذلك، لماذا؟

هذا هو استحكام الجهل بالسنة من ناحية، والأهواء الذي أشربته قلوب هؤلاء من ناحية أخرى.

وهذا يدلنا على أن أهل الإمامة هم في الصدع بالسنة، والدعوة إليها، والمنافحة عنها، وإن كانوا تحت ظلال السيوف، وإن كانوا في ظلمات السجون، وإن كانوا تحت السياط يوجعون ضربًا، لا يخافون في الله لومة لائم، يقولون الحق وإن كان على أنفسهم.

هذا الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يأتيه عشرة من الفقهاء، يتشكون عنده ما نالهم من ظلم المأمون العباسي، وكيف أنه أذل أهل السنة، وأهانهم، وشهَّر بهم؛ تحقيرًا لهم، وكيف رفع أهل البدعة، وأعلىٰ مقامهم، وعظم شأنهم.

يقول هؤلاء الفقهاء: يا أبا عبد الله، أَلَا ترىٰ ما فعل هذا؟

يستشيرونه في الخروج عليه؛ لأنه احتوىٰ مقولة الكفر، وهذه فرصة للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لو كانت القضية: طلب جاه، وطلب رئاسة، ومنزلة، ومنصب، لطاوعهم في كلامهم ودعواهم؛ لكنه كان يقول لهم: «أمير المؤمنين، الله الله في دماء المسلمين، اتقوا الله في المسلمين، احقنوا دماء المسلمين».

لماذا؟

لأن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرىٰ أن هذا الخليفة أوقعه بطانة السوء، من الجهمية، في شبهة لا يستطيع الخلاص منها.

وهذا يدلنا علىٰ أنه في الأحوال الحالكة المظلمة، أن النجاة: أن يسلك المرء ما عرفه من سنة النبي ﷺ، وأن يدع ما سوىٰ ذلك، فقد صبر الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومن معه، حتىٰ فرج الله عنهم بالمتوكل العباسي، وهو من أحفاد المأمون، أو من أحفاد أبنائه، فرج الله عن أهل السنة، وكانت العاقبة لهم -ولله الحمد-، وأذل الله أهل البدع.

والمقصود: أن أهل البدع تقوىٰ شوكتهم، حين يضعف أهل السنة،

وحين يجدون إلىٰ ولي الأمر سبيلًا لاحتوائه، أما إذا كان أهل السنة حول ولاة أمرهم، يسددونهم، ويناصحونهم، ويذكرونهم، ويعاونونهم؛ فإن أهل البدع يكونون في الزوايا والخبايا.



«ولما كان الله سبحانه قد تكفل بإظهار دينه علىٰ الدين كله وبحفظه عن التحريف والتغيير والتبديل، أوجد من علماء الكتاب والسنة في كل عصر من العصور من يبين للناس دينهم».

الشرح:

يشير الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]. وقد تكاثرت الآيات في هذا، متضمنة وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **بنصر جنده** من المؤمنين، الذين ما عرفوا إمامًا غير كتاب الله، وسنة رسوله **محمد** ﷺ، وسيرة السلف الصالح، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥]. **وقال تعالىٰ:** ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر:٥١]، فاستبشروا خيرًا يا أهل السنة.

فالباطل له صولة، وله طفرة، يستعر -أحيانًا- **كما تستعر النار في** الهشيم، ثم يخبوا -بإذن الله تعالىٰ- وينطمر أهله، **وتصبح العاقبة للسنة** وأهلها.

وهذا ما يستوجب منًّا أن ندعو إلىٰ ما نحن عليه **من التوحيد والسنة،** بالحكمة وبالموعظة الحسنة، وأن نبين للناس دين الله الذي ارتضاه لهم، وما رضي للعباد ولا للبلاد دينًا سواه؛ **أَلَا وهو الإسلام.**

والإسلام هو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، والبراءة من الشرك وأهله.

هكذا عليكم الصبر والمصابرة، والاجتهاد في تحصيل العلم النافع، والعمل الصالح، والله تعالى غالبٌ علىٰ أمره.

يجب علينا أن نحرص علىٰ هداية الناس؛ هداية الدلالة والإرشاد ما استطعنا إلىٰ ذلك سبيلًا، فإذا عجزنا، وغلبنا الأمر: تسلينا بهذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ [المائدة:١٠٥].



«وينكر علىٰ أهل البدع بدعهم، فكان لهم -ولله الحمد-: المقامات المحمودة، والمواقف المشهودة في نصر الدين، وهتك المبتدعين.

وبهذا الكلام القليل الذي ذكرنا: تعرف أن مذهب السلف من الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين وتابعيهم: هو إيراد أدلة الصفات علىٰ ظاهرها، من دون تحريف لها، ولا تأويل متعسف لشيء منها، ولا جبر، ولا تشبيه، ولا تعطيل، يفضي إليه كثير من التأويل.

وكانوا إذا سأل سائل عن شيء من الصفات: تَلَوا عليه الدليل، وأمسكوا عن القال والقيل، وقالوا: قال الله هكذا، ولا ندري بما سوىٰ ذلك، ولا نتكلف، ولا نتكلم بما لا نعلمه، ولا أذن الله لنا بمجاوزته».

الشرح:

هاهنا أمران:

الأمر الأول: خلاصة ما قرره وبيناه لكم -بارك الله فيكم، ورزقنا وإياكم علمًا، وفقهًا في دينه، وجعله ذلك لنا وإياكم نورًا في الدنيا والآخرة-.

وهذا المؤكد: أن أهل السنة هم الذين ينقذ الله بهم الناس، ويهديهم إلىٰ ما هو أقوم، وأسلم، وأنجح، في عاجل أمره وآجله، وليس في غيرهم هدىٰ أبدًا.

الأمر الثاني: أعاد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما سبق تقريره من أن أهل السنة يمرون

آيات الصفات، وأنا أقول: وكذلك أحاديث الصفات يمرونها على ظاهرها، وإذا استشكل أحدهم شيئًا: أعطوه الأدلة، وأمسكوا عن الخوض عما سوى ذلك.

وقد قدمنا هذا -بارك الله فيكم-، واستذكروا قول الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«الاستواءُ معلوم، والكيفُ مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»**.



«فإن أراد السائل أن يظفر منهم بزيادة علىٰ الظاهر: زجروه عن الخوض فيما لا يعنيه، ونهوه عن طلب ما لا يمكن الوصول إليه إلَّا بالوقوع في بدعة من البدع التي هي غير ما هم عليه، وما حفظوه عن رسول الله ﷺ، وحفظه التابعون عن الصحابة، وحفظه من بعد التابعين عن التابعين.

وكان في هذه القرون الفاضلة: الكلمة في الصفات متحدة، والطريقة لهم جميعًا متفقة، وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاشتغال به، وكلفهم القيام بفرائضه، من الإيمان بالله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وإنفاق الأموال في أنواع البر، وطلب العلم النافع، وإرشاد الناس إلىٰ الخير، علىٰ اختلاف أنواعه، والمحافظة علىٰ موجبات الفوز بالجنة، والنجاة من النار، والقيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والأخذ علىٰ يد الظالم، بحسب الاستطاعة، وبما تبلغ إليه القدرة، ولم يشتغلوا بغير ذلك مما لم يكلفهم الله بعلمه، ولا تعبدهم بالوقوف علىٰ حقيقته».

الشرح:

أولًا: يذكرنا الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بما قاله الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البدعة مقرونة بالفرقة، والسنة مقرونة بالاجتماع»[1].

---

(١) «الاستقامة» (٤٢).

والحاذق البصير يلمس هذا علىٰ مر العصور بدءًا من أصحاب النبي ﷺ إلىٰ اليوم.

تجد السني يوافق السني هنا، وفي السعودية، وفي جميع أقطار العالم التي فيها مسلمون.

وأهل البدع وإن كانوا متحدين متوافقين متآزرين علىٰ حرب أهل السنة؛ لكنهم مختلفون فيما بينهم.

الأمر الثاني: أن أهل السنة: هم دعاة الناس إلىٰ كل خير، إلىٰ كل ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم، وكل ما تجتمع عليه الكلمة من محاب الله سبحانه وتعالى ومراضيه.

فانظروا: يدعون إلىٰ الإيمان بالله، إلىٰ إقام الصلاة، إلىٰ الحج، إلىٰ بر الوالدين، إلىٰ صلة الرحم، إلىٰ إكرام الجار، إكرام الضيف، حسن الجوار، حفظ الأمانة، صدق الوعد، هذه الأمور وإن شاركهم بعض الطوائف فيها، أو في بعضها: لكن أهل السنة لهم الحظ الأوفر.

وهذا تنبيه إلىٰ أن أهل السنة: هم أعرف الناس بالحق، كما أنهم أرحم الناس بالخلق، انظروا: عندهم الدعوة إلىٰ الحق، كما عندهم الرحمة بالخلق.

فهم يدعون الناس إلىٰ مثل قوله ﷺ: **«الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ**

بَعضُهُ بَعضًا»[١].

فأساس دعوتهم: توحيد الله الخالص، ثم فرائض الدين العملية، وسائر الطاعات، من واجبات ومندوبات.

كما أنه من أساس دعوتهم: النهي عن الشرك بالله ﷻ، والنهي عن جميع المعاصي والمحدثات في دين الله، ومع هذا؛ فإن هذا الأساس لا يشغلهم عما فيه اجتماع الخلق علىٰ الحق والعدل والإنصاف، فهم يدعون حتىٰ إلىٰ الرفق بالمملوك يدعون إليه.

يدعون إلىٰ شعب الإيمان التي أعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذىٰ عن الطريق.

فالسنة: دعوة إلىٰ ما يصلح الحال والمآل.



---

(١) أخرجه البخاري (المظالم، باب نصرة المظلوم، ح:٢٤٤٦)، ومسلم (البر والصلة والآداب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا، ح:٢٥٨٦).

«فكان الدين إذ ذاك صافيًا عن كَدَر البدع، خالصًا عن شوب قذر التمذهب، فعلىٰ هذا النمط: كان الصحابة ﭬ والتابعون وتابعوهم، وبهدي رسول الله ﷺ اهتدوا، وبأفعاله وأقواله اقتدوا.

فمن قال: إنهم تلبسوا بشيء من هذه المذاهب الناشئة في الصفات، أو غيرها: فقد أعظم عليهم الفرية، وليس بمقبول في ذلك؛ فإن أقوال الأئمة المطلعين علىٰ أحوالهم، العارفين بها، الآخذين عن الثقات الأثبات: يرد عليه، ويدفع في وجهه، يعلم ذلك: كل من له علم، ويعرفه كل عارف، فاشدد بذلك علىٰ هذا.

واعلم: أنه مذهب خير القرون، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ودع عنك ما حدث من تلك التمذهُبات في الصفات، وأرح نفسك من تلك العبارات، التي جاء بها المتكلمون، واصطلحوا عليها، وجعلوها أصلًا، يرد كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ».

الشرح:

يذكرنا الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأمرين:

الأمر الأول: أن أهل السنة لا يرضون المنكر، سواءً كان المنكر بدعة أو معصية من المعاصي؛ بل حتىٰ صغائر الذنوب، لا يرضونها ولا يقرونها.

الأمر الثاني: لا يزال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ -قبل أن يضرب أمثلة- يقرر ما قرره

الأئمة قبله: من أن الصلاح والفلاح والنجاح: هو التمسك بهدي السلف الصالح، والسير علىٰ ما ساروا عليه.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان وهب بن كيسان يجلس إلينا، ولا يقوم حتىٰ يقول: اعلموا أنه لن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها. فقال أصبغ بن الفرج لمالك: ماذا يريد؟ قال: يريد بادئ الدين، أو التقوىٰ».

وحديث عمران بن حصين، وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، والأحاديث التي جاءت بالشهادة بالخيرية للثلاثة القرون المفضلة: هي شاهدٌ علىٰ هذه المقولة.

ويشهد لها كذلك أحاديث أُخر، منها: قوله ﷺ: «**إِنَّهُ لَم يَكُن نَبِيٌّ قَبلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيهِ أَن يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيرِ مَا يَعلَمُهُ لَهُم، وَيُنذِرَهُم شَرَّ مَا يَعلَمُهُ لَهُم، وَإِنَّ أُمَّتَكُم هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا**»[1].



(١) أخرجه مسلم (الإمارة، باب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، ح:٤٨٨٢).

«يرد كتاب الله وسنة رسولهﷺ؛ فإن وافقاها: فقد وافق الأصول المتقررة في زعمهم، وإن خالفاها: فقد خالف الأصول المتقررة في زعمهم، ويجعلون الموافق لها من قسم المقبول والمحكم، والمخالف لها من قسم المردود والمتشابه».

الشرح:

وأقول: لا يزال مُحَكِّمَةُ العقل والمؤتمون به -يعني: الذين جعلوا العقل متبوعًا- علىٰ هذا.

فهم يَزِنُون النصوص بميزان العقل عندهم، فما وافق العقل قبلوه، وما خالفه قالوا: هذا علىٰ خلاف الأصل، هذا؛ وإن كان قطعي الثبوت؛ لكنه ظني الدِلالة، وهكذا.

وقد قرَّر الترابي السوداني الهالك هذا؛ عندما تكلم في أحاديث نزول المسيح ابن مريم عليه السلام قال: «أنا لا أنكرها لسندها، لكن أنكرها؛ لأنها تخالف العقل».

ومن قبل قال الغزالي السَّقَّا في حديث ضرب موسىٰ عليه السلام ملك الموت عليه السلام ففقأ عينه، قال: «هذا ما هو حديث هذا حطه تحت رجليك».

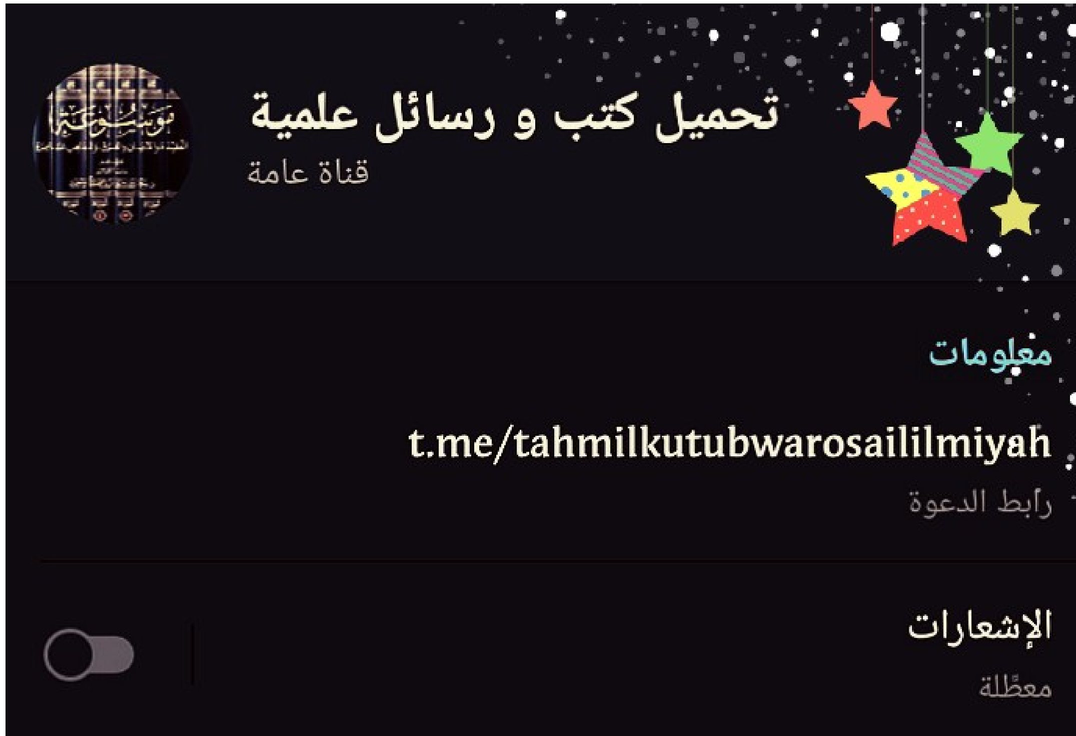
هكذا العقل إذا صار إمامًا: أضل عن الهدىٰ، وقادَ إلىٰ الردىٰ.

ترد آي التنزيل الكريم المحكمات البينات، وترد سنة النبيﷺ الصحيحة؛

من أجل أن يكون العقل قائدًا ورائدًا.

أما أهل السنة: ليسوا كذلك، فهم معولهم علىٰ النصوص؛ لعلمهم أن النصوص معصومة، وأما أقوال البشر فليست بمعصومة.





«ولو جئت بألف آية واضحة الدلالة، ظاهرة المعنىٰ، أو ألف حديث، مما ثبت في الصحيح: لم يبالوا به، ولا رفعوا إليه رءوسهم، ولا عدوه شيئًا.

ومن كان مُنكِرًا لهذا: فعليه بكتب هذه الطوائف المصنفة في علم الكلام، فإنه سيقف علىٰ الحقيقة، ويسلم هذه الجملة، ولا يتردد فيها».

الشرح:

وهكذا شهدت علىٰ نفسها؛ فمن نازعكم في قولٍ أن طائفةً لم تقله: فاحتجوا عليه من كتب تلك الطائفة -طوائف الضلال-؛ فإنها حجة علىٰ من ينكر هذا.

فأهل السنة -ولله **الحمد**-: أهل عدل، يقولون ما لهم وما عليهم، وأما أهل الضلال: فأهل حيف، أهل هوىٰ، يأخذون ما لهم ويدعون ما عليهم.

فلو جئت تحاج فردًا ينتمي إلىٰ طائفة ضالة بما نقله أهل السنة: لا يصدق أبدًا؛ لكن حينما تأتيه بأقوال القوم من كتبهم: يُبهت.



«ومن العجب العجيب، والنبأ الغريب: أن تلك العبارات الصادرة عن جماعة من أهل الكلام، التي جعلها من بعدهم أصولًا: لا مستند لها؛ إلا مجرد الدعوىٰ علىٰ العقل، والفرية علىٰ الفطرة، وكل فرد من أفرادها قد تنازعت فيه عقولهم، وتخالفت عنده إدراكاتهم، فهذا يقول: حُكم العقل في هذا الكلام كذا، وهذا يقول: حُكم العقل في هذا كذا، ثم يأتي بعدهم من يجعل ذلك الذي يعقله من تقلَّده ويقتدي به أصلًا، يُرجع إليه، ومعيارًا لكلام الله تعالىٰ وكلام رسولهﷺ، يَقبل منهما ما وافقه، ويرد ما خالفه.

فيا لله وللمسلمين، ويا لعلماء الدين من هذه الفواقر الموحشة، التي لم يصب الإسلام وأهله بمثلها.

وأغرب من هذا، وأعجب، وأشنع، وأفظع: أنهم بعد أن جعلوا هذه التعقُّلات التي تعقلوها، علىٰ اختلافهم فيها، وتناقضهم في معقولاتهما: أصولًا ترد إليها أدلة الكتاب والسنة، جعلوها معيارًا لصفات الرب تعالىٰ، فما تَعَقَّلَهُ هذا من صفات الله قال به جزمًا، وما تَعَقَّلَهُ خصمه منها قَطع به، فأثبتوا لله تعالىٰ الشيء ونقيضه؛ استدلالًا بما حكمت به عقولهم الفاسدة، وتناقضت في شأنه.

ولم يلتفتوا إلىٰ ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسولهﷺ؛ بل إن وجدوا ذلك موافقًا لما تَعَقَّلوه: جعلوه مؤيدًا له ومقوِّيًا، وقالوا: قد ورد دليل السمع مطابقًا لدليل العقل، وإن وجدوه مخالفًا لما تَعَقَّلوه: جعلوه واردًا علىٰ

خلاف الأصل، ومتشابهًا، وغير معقول المعنىٰ، ولا ظاهر الدلالة».

الشرح:

وحاصل هذا أمران:

الأمر الأول: أهل الهوىٰ والبدع سواءً في صفات الرب جَلَّاَلَهُ أو في غيرها من الأصول التي خالفوا فيها أهل السنة، وإن كانوا متفقين علىٰ أن العقل هو المعيار عندهم، ورد ما خالفهم من النصوص: فهم مختلفون فيما بينهم، وعلىٰ سبيل المثال: تخاصمت المعتزلة والأشاعرة؛ فقالت المعتزلة: أنتم لماذا تُقرون سبعًا من الصفات، وتخالفوننا في هذا؟

فإن كانت عقولكم صائبة فهل عقولنا خاطئة ؟

تبيحون لأنفسكم ما تحرمونه علينا؟

وأنا أوصي طلاب العلم وطلبته: إلىٰ أن يراجعوا في هذه المسائل -مسائل الصفات- الكتاب النفيس -الذي لا أعلم أنه أُلف مثله في هذا العصر- وهو كتاب: «القواعد المثلىٰ» للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ ؛ فهو في الحقيقة: خلاصة لما قرره الأئمة في هذا الباب.

هذا هو الخلاصة التي ندركها من مذهب هؤلاء؛ أنهم يتطاحنون فيما بينهم.

الثاني: ما خلص إليه المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ من دعوة علماء الدين من أئمة الإسلام، إلىٰ أن يقفوا في وجه ما يَفِدُ إليهم من البدع والمحدثات في دين الله عَزَّ وَجَلَّ .

«ثم قابلهم المخالف لهم بنقيض قولهم؛ فافترىٰ علىٰ عقله بأنه قد تَعَقَّل خلاف ما تَعَقَّله خصمه، وجعل ذلك أصلًا يرد إليه أدلة الكتاب والسنة، وجعل المتشابه عند أولئك محكمًا عنده، والمخالف لدليل العقل عندهم موافقًا له عنده، فكان حاصل كلام هؤلاء: أنهم يعلمون من صفات الله ما لا يعلمه، وكفاك هذا وليس بعده شيء، وعنده يتعثر القلم حياء من الله سبحانه وتعالى.

وربما استبعد هذا مستبعد، واستنكره مستنكر، وقال: إن في كلامي هذا مبالغة، وتهويلًا، وتشنيعًا، وتطويلًا، وإن الأمر أيسر من أن يكون حاصله هذا الحاصل، وثمرته مثل هذه الثمرة التي أشرت إليها.

فأقول: خذ جملة البلوىٰ، ودع تفصيلها، واسمع ما يصك سمعك، ولولا هذا الإلحاح منك ما سمعته، ولا جرىٰ القلم بمثله.

هذا أبو علي؛ وهو رأس من رءوسهم، وركن من أركانهم، وأسطوانة من أسطواناتهم، قد حكىٰ عنه الكبار، وآخر من حكىٰ عنه ذلك: صاحب شرح القلائد[1]: «واللهِ لا يعلم اللهُ من نفسه إلا ما يعلم هو»، فخذ هذا

(١) اسم الكتاب: «الدرر الفرائد شرح القلائد» للإمام المهدي أحمد بن يحيىٰ بن المرتضىٰ الذي ولد بمدينة ذمار يوم الإثنين لعله سابع شهر رجب سنة (٧٧٥) للهجرة، قرأ علم العربية حتىٰ برع فيها، ثم أخذ علم الكلام، ونهل من علم الفقه، ودرس الكشاف، وتبحر في العلوم، واشتهر فضله، وبعُد صِيته، وله مؤلفات عديدة توفي في شهر ذو القعدة سنة (٨٤٠) للهجرة، وقبره بظُفير، حجة مشهور.

التصريح حيث لم تكتف بذلك التلويح، وانظر هذه الجراءة على الله ﷻ التي ليس بعدها جراءة.

فيا لأم أبي علي الويل! أنهيق مثل هذه النهيق؟

ويدخل نفسه في هذا المضيق، وهل سمع السامعون بيمين أفجر من هذه اليمين الملعونة، أو نقل الناقلون كلمة تقارب معنى هذه الكلمة المفتونة، أو بلغ مفتخر إلى ما بلغ هذا المختال الفخور؟ أو وصل من يفجر في أيمانه إلى ما يقارب هذا الفجور؟

وكل عاقل يعلم: أن أحدنا لو حلف أن ابنه أو أباه لا يعلم من نفسه إلا ما يعلمه هو لكان كاذبًا في يمينه، فاجرًا فيها؛ لأن كل فرد من الناس ينطوي على صفات وغرائز لا يحب أن يطلع عليها غيره، ويكره على أن يقف على شيء منها سواه.

ومن ذا الذي يدري بما يجول في خاطر غيره، ويستكِنُّ في ضميره؟ ومن ادعى علم ذلك، وأنه يعلم من غيره من بني آدم ما يعلمه ذلك الغير من نفسه، ولا يعلم ذلك الغير من نفسه إلا ما يعلمه هذا المدعي: فهو إما مصاب العقل يهذي بما لا يدري، ويتكلم بما لا يفهم، أو كاذب شديد الكذب عظيم الافتراء.

فإن هذا أمر لا يعلمه غير الله سبحانه؛ فهو الذي يحول بين المرء وقلبه، وما توسوس به نفسه، وما يسر عباده وما يعلنون، وما يظهرون وما يكتمون،

كما أخبرنا بذلك في كتابه العزيز في غير موضع».

الشرح:

هذا الكلام يتلخص في أمور:

الأمر الأول: اختلاف أهل الأهواء فيما بينهم، **وحمل بعضهم على** بعض، مع اتفاقهم على أن مرد الأمر إلى العقل عندهم، **وأنه هو الذي يُتَّبع** وهو الإمام، وعلى سبيل المثال أقول: **المرجئة تناقض الخوارج، والخوارج** تناقض المرجئة، **وكل واحدة تحمل على الأخرى.**

والقدرية تناقض الجبرية، والجبرية تناقض القدرية، **والكل تحمل على** الأخرى وتُسفِّه عقلها وهكذا؛ **فإنه ما من فرقة من فرق الأهواء المختلفة إلا** وهي تحمل على الأخرى، وتسفِّه عقلها، **وتتهمه، وتزعم أن ما أوتيت من** عقل أفضل مما أوتيته تلك.

أما أهل السنة -فنسأل الله الكريم رب العرش العظيم **أن يجعلنا وإياكم** من خواص أهلها في الدنيا والآخرة- وإن اختلفوا؛ **فهم أهل حلم، وفضل،** وعلم، وكل يوقر الآخر، ويحترمه؛ لأن الجامع لهم: السنة، **الجامع لهم على** الهدى: كتاب ربهم، وسنة نبيهم محمد ﷺ، حتى لو أن بعضهم **شد على الآخر،** وأغلظ له؛ لكنَّ قلوبهم صافية، كما قال قائلهم: **«يختلفون ويتزاورون».**

وإليك مثالًا:

تارك الصلاة متهاونًا مع إقراره بوجوبها، فأهل السنة فيه علىٰ قولين:

أحدهما: أنه يكفر؛ كالجاحد.

والثاني: أنه فاسق.

ولم نعلم إمامًا يقتدىٰ به، ويُصدر عن قوله، ولم نعلم عالمًا صاحب علم وحلم من الطائفتين حمل علىٰ الآخر أبدًا.

فالمفسِّقون لم يصفوا المكفِّرين أنهم خوارج، والمكفِّرون لم يصفوا المفسِّقين بأنهم مرجئة؛ هكذا عرفناه عنهم، ولا عبرة بمن شذ وند، العبرة بعموم أهل القول في هذا.

الأمر الثاني: رد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ شبهة -أظنه قد مضىٰ مثيلها- ملخصها: أنه قد يتهم بالمبالغة فيما ينقله عن أهل الأهواء، وهذا لا نزال نسمعه لليوم؛ فإن السذج والمغفلين من أهل السنة -أحيانًا- تصدر عنهم كلمات، تحمل في ثناياها الاتهام بالمبالغة، هذا في الحقيقة يدل علىٰ أن من صدرت منه هذه المقولة جاهل؛ فلو أنه تبحر، وترسخ في العلم ما قال هذه المقولة.

وقد رد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بنقل مقولة عن أبي علي الجُبَّائي، واسمه: محمد ابن عبد الوهاب، وهو شيخ المعتزلة في زمانه، وهو الذي علَّم أبا الحسن الأشعري الاعتزال أول أمره؛ لأنه تربَّىٰ في حِجره؛ إذ كان الجبَّائي زوجًا لأم علي بن إسماعيل أبا الحسن الأشعري.

هذه المقولة التي سمعتموها: مقولة كفرية، وهي من مقولات القدرية؛ فأقسم الرجل أن الله لا يعلم من نفسه -يعني من نفس أبي علي- إلا ما يعلمه هو.

وقد دلَّل المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ بطلان هذه المقولة، وأنها كفر بدليلين:

أحدهما: من قَبيل العقل.

والآخر: من قَبيل السمع.

أما الدليل السمعي: فهو ما جاء في التنزيل الكريم، من إحاطة علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما يخفيه العباد، وما يعلنونه، وما يظهرونه، وما يكتمونه، وهاكم آية واحدة فقط تدل علىٰ أن تلكم المَقَالة ردة عن دين الله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦].

ما توسوس به النفس هو معلوم لله عَزَّ وَجَلَّ لا يخفىٰ، والآيات في هذا الباب معلومات مشهورات، وأظنها لا تخفىٰ علىٰ صغار أهل السنة، فالأطفال في الصفوف الأولىٰ يعرفون هذه الآيات، ويقرءونها ويحفظونها.

وأما الدليل العقلي: فإنه لو قال إنسان: إنه يعلم من نفس ابنه، أو زوجته، أو خادمه، ما لا يعلمونه من أنفسهم: لكذَّبه السفهاء -هذه من عندي- أقول: لكذَّبه السفهاء، فضلًا عن العقلاء؛ لأن كل إنسان تهجس في نفسه هواجس، وتحدث لها خطرات، وينتابها أفكار، لا يعلمها إلا هو بنفسه -يعني: من المخلوقين- وهذا باتفاق العقلاء والفطناء.

«فقد خاب وخسر: من أثبت لنفسه من العلم ما لا يعلمه إلا الله من عباده.

فما ظنك من جاوز هذا، وتعداه، وأقسم بالله سبحانه أن الله لا يعلم من نفسه هو إلا ما يعلمه هو؟

ولا يصح لنا أن نحمله علىٰ اختلال العقل؛ فلو كان مجنونًا: لم يكن رأسًا يقتدي بقوله جماعات من أهل عصره، ومن جاء بعده، وينقلون كلامه في الدفاتر، ويحكون عنه في مقامات الاختلاف.

ولعل أتباع هذا ومن يقتدي بمذهبه، لو قال لهم قائل، وأورد عليهم مورد قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ﴾، وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]. وقال لهم: هذا يرد ما قال صاحبكم، ويدل علىٰ أن يمينه هذه فاجرة مفتراة، لقالوا: هذا ونحوه مما يدل دلالته، ويفيد مفاده من المتشابه الوارد علىٰ خلاف دليل العقل، المدفوع بالأصول المقررة.

وبالجملة؛ فإطالة ذيول الكلام في مثل هذا المقام: إضاعة للأوقات، واشتغال بحكاية الخرافات المبكيات لا المضحكات.

وليس مقصودنا هاهنا إلا إرشاد السائل إلىٰ أن المذهب الحق في الصفات هو إمرارها علىٰ ظاهرها، من غير تأويل، ولا تحريف، ولا تكلف، ولا تعسف، ولا جبر، ولا تشبيه، ولا تعطيل، وأن ذلك هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم.

فإن قلت: ماذا تريد بالتعطيل في مثل هذه العبارات التي تكررها؟

فإن أهل المذاهب الإسلامية يتنزهون عن ذلك، ويتحاشون عنه، ولا يصدق معناه، ولا يوجد مدلوله إلا في طائفة من طوائف الكفار، وهم المنكرون للصانع.

قلتُ: يا هذا! إن كنت ممن له إلمام بعلم الكلام الذي اصطلح عليه طوائف من أهل الإسلام؛ فإنه لا محالة: قد رأيت ما يقوله كثير منهم، ويذكرونه في مؤلفاتهم، ويحكونه عن أكابرهم: أن الله -سبحانه وتعالىٰ تنزه وتقدس-: لا هو جسم، ولا جوهر، ولا عَرَض، ولا داخل العالم، ولا خارجه.

فأنشدك الله، أي عبارة تبلغ مبلغ هذه العبارة في النفي؟ وأي مبالغة في الدلالة علىٰ هذا النفي تقوم مقام هذه المبالغة؟

فكأن هؤلاء في فرارهم من شُبه التشبيه إلىٰ هذا التعطيل، كما قال القائل:

فكُنتُ كالسَّاعي إلىٰ مَثعَبٍ مُوَائِلاً مِن سُبُلِ الرَّاعِدِ

أو كالمستجير من الرمضاء بالنار، والهارب من لسعة الزنبور إلىٰ لدغة الحية، ومن قرصة النملة إلىٰ قضمة الأسد!

وقد يغني هؤلاء وأمثالهم من المتكلمين المتكلفين: كلمتان من كتاب الله تعالىٰ وصف بهما نفسه، وأنزلهما علىٰ رسوله، وهما: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]. و: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ:١١].

فإن هاتين الكلمتين: قد اشتملتا علىٰ فصل الخطاب، وتضمنتا بما يعين أولي الألباب السالكين في تلك الشعاب، فالكلمة منها دلت دلالة بينة علىٰ أن كل ما تكلم به البشر في ذات الله وصفاته علىٰ وجه التدقيق، ودعاوىٰ التحقيق؛ فهو مشوب بشعبة من شعب الجهل، مخلوط بخلوط هي منافية للعلم، ومباينة له.

فإن الله سبحانه قد أخبرنا أنهم لا يحيطون به علمًا، فمن زعم أن ذاته كذا، أو صفته كذا؛ فلا شك أن صحة ذلك متوقفة علىٰ الإحاطة، وقد نفيت عن كل فرد من الأفراد علمًا.

فكل قول من أقوال المتكلمين: صادر عن جهل، إما من كل وجه، أو من بعض الوجوه، وما صدر عن جهل فهو مضاف إلىٰ جهل، ولا سيما إذا كان في ذات الله وصفاته؛ فإن ذلك من المخاطرة في الدين، ما لم يكن في غيره من المسائل، وهذا يعلمه كل ذي علم، ويعرفه كل عارف.

ولم يحط بفائدة في هذه الآية، ويقف عندها، ويقتطف من ثمراتها: إلا الممرون الصفات علىٰ ظاهرها، المريحون أنفسهم من التكلفات، والتعسفات، والتأويلات، والتحريفات، وهم السلف الصالح كما عرفت؛ فهم الذين اعترفوا بالإحاطة، وأوقفوا أنفسهم حيث أوقفهم الله، وقالوا: الله أعلم بكيفية ذاته، وماهية صفاته؛ بل العلم كله له، وقالوا -كما قال من قال ممن اشتغل بطلب هذا المحال فلم يظفر بغير القيل والقال-:

العلمُ للرَّحمن جلَّ جلالهُ وسِواهُ في جَهلاتِهِ يتَغمغمُ
ما للتُّرابِ وللعلومِ وإنَّما يَسعىٰ ليَعلمَ أنَّهُ لا يَعلَمُ

الشرح:

وهاهنا أمران نستخلصهما من قول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبعضها قد سبق، وهو توكيد للسابق؛ فالذي قد سبق: أن أهل السنة وقَّافون حيث يُوقِفهم الله ورسوله، ولا يجاوزون ذلك، وهذا يذكّرنا بوصايا السلف في التمسك بالسنة، والأخذ بها، ومن تلك المقُولات العظيمة، والنصائح الغالية: قول الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السنة سفينة نوح من ركبها نجا»[1].

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمع المسلمون علىٰ أن مَن استبان له سنة رسول الله ﷺ فليس له أن يدعها لقول أحد من البشر»[2].

وقال عبد الله بن شوذب: «إن من نعمة الله علىٰ الأعجمي والحدث إذا نسك -يعني استقام علىٰ الدين، كما يقول العامة في عرف اليوم: التزم- أن يوآخي صاحب سنة، فيحمله عليها».

الأمر الثاني: ما السبب في وقوف أهل السنة علىٰ ظاهر النص، ولم يجاوزوه إلىٰ ما وراء ذلك؟

(١) انظر: «الصفدية»، لابن تيمية (٢٥٧).

(٢) انظر: «كشف غياهب الظلام»، سليمان بن سحمان (١٤٩).

والجواب:

أولًا: نهي الله إياهم عن ذلك، ومن نهي الرب جَلَّ وَعَلَا عن هذا الذي استأثر الله بعلمه، وهو ما وراء ظاهر النصوص، قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ﴾. وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]. إلىٰ غير ذلكم من الآيات.

العلم كله لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن أنعم عليه بباب، أو أبواب منه: فهو فضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يؤتيه من يشاء، فكان أهل السنة -ولله الحمد- لاحِقُهم يرث عن سابقهم هذا الباب، ولا يجاوزون ظاهر النصوص؛ لأنه متقرر عندهم: أن ما أراده الله منهم أنزله في كتابه، أو جاء به نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولهذا فإنهم يُسَمَّون: أهل السنة، ويُسَمَّون: أهل السنة والجماعة.



«بل اعترف كثير من هؤلاء المتكلفين: بأنه لم يستفد من تكلفه، وعدم قنوعه بما قنع به السلف الصالح إلا مجرد الحيرة، التي وجد عليها غيره من المتكلفين، فقال:

لقد طفتُ في تلك المَعَاهد كُلِّها وسَرَّحتُ طرفي بين تلك المعالِمِ
فَلَم أرَ إلا واضعًا كَفَّ حائرٍ علىٰ ذقنٍ او قارعًا سنَّ نادمِ

وهأنا أخبرك عن نفسي، وأوضح لك ما وقعت فيه في أمسي؛ فإني في أيام الطلب وعنفوان الشباب، شغلت بهذا العلم الذي سموه تارة علم الكلام، وتارة علم التوحيد، وتارة علم أصول الدين، وأكببت علىٰ مؤلفات الطوائف المختلفة منهم، ورمت الرجوع بفائدة، والعود بعائدة؛ فلم أظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة، وكان ذلك من الأسباب التي حببت إلي مذهب السلف، علىٰ أني كنت قبل ذلك عليه؛ ولكن أردت أن ازداد منه بصيرة، وبه شغفًا، وقلت عند ذلك في تلك المذاهب:

وغايةُ ما حصَّلتُهُ من مباحثِي ومن نظري من بعد طول التَّدبُّرِ
هُوَ الوقفُ ما بينَ الطَّريقين حَيرَةً فما عِلمُ من لَم يَلقَ غيرَ التَّحَيُّرِ
عَلَىٰ أَنَّنِي قد خُضتُ منهُ غمارهُ وما قَنعَت نَفسي بِغَيرِ التَّبحُّرِ»

الشرح:

وهاهنا يدعو المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهل الإسلام إلىٰ التفقه في الكتاب

الكريم، وفي سنة النبي ﷺ، ويحذرهم من الاشتغال بغير ذلكم؛ فإن دين الإسلام من الأدلة ، والأدلة ذكرناها لكم فيما مضىٰ ولا يحتاج إلىٰ الإعادة.

وما وراء الكتاب والسنة علىٰ فهم السلف الصالح هو إن لم يضر لم ينفع، إن لم يضر، ويشغل، ويضيع الوقت، ويجلب الحيرة، والوساوس؛ فإنه لا ينفع؛ فكتاب ربنا، وسنة نبينا ﷺ فيهما الهدىٰ والنور، لا في غيرهما، وقد دلل رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ هذا بدليلين:

الأول: شعر بعضهم؛ فهو شهادة منهم علىٰ أنفسهم: أن نهاية أمرهم في الاشتغال بالكلام: الحيرة؛ ولهذا صرح بعضهم، قال: هأنذا أموت علىٰ عقيدة العجائز. وبعضهم يقول: هأنذا أموت علىٰ عقيدة أمي.

الدليل الثاني: تجربة شخصية منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وصل من خلال بحثه، وسبره مؤلفات القوم: أنه لا علم فيها، وأنه ليس فيها إلا المشغلة، فيا شباب الإسلام من المسلمين و المسلمات: أكبوا علىٰ الفقه في دين الله، وعلىٰ الفقه في سنة رسول الله ﷺ، ومنهما لا من غيرهما، خذوا أحكام الله عَزَّ وَجَلَّ ، وإياكم والرأي.

فنحن نحكِّم فهم السلف الصالح، ونراه تفسيرًا لِمَا أُشكل علينا فهمه، وإياكم أن تنشغلوا بالكتب الفكرية؛ كتب المفكرين، مثل: كتب سيد قطب، وكتب القرضاوي، وكتب الغزالي السقا؛ فإنه ليس فيها من الفقه في دين الله شيء، وإن وجد فيها ما يوافق الكتاب والسنة؛ فإنه مغمور بأضعاف مضاعفة

من الباطل والضلال والزيغ والانحراف.

أقول هذا عن خبرة وفهم؛ فمنذ نحو خمس عشرة سنة أو تزيد، ونحن نصارع القوم -ولله الحمد-، ونجول بالذهن من خلال مطالعاتنا لعبارات الضلال من هذه الكتب التي سميتها، وما ماثلها، كما نتجول في كتب أهل السنة؛ حتىٰ يستبين الحق بدليله.



«وأما الكلمة: وهي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فبها يستفاد: نفي المماثلة في كل شيء، فيدفع بهذه الآية في وجه المجسمة، وتعرف به الكلام عند وصفه سبحانه بالسميع البصير، وعند ذكر السمع والبصر واليد والاستواء، ونحو ذلك مما اشتمل عليه الكتاب والسنة، فتقرر بذلك لتلك الصفات، لا علىٰ وجه المماثلة والمشابهة للمخلوقات، فيدفع به جانبي الإفراط والتفريط، وهما: المبالغة في الإثبات المفضية إلىٰ التجسيم، والمبالغة في النفي المفضية إلىٰ التعطيل. فيخرج من بين الجانبين، وغلو الطرفين أحقية مذهب السلف الصالح، وهو قولهم بإثبات ما أثبته لنفسه من الصفات علىٰ وجه لا يعلمه إلا هو؛ فإنه القائل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]».

الشرح:

هذه خاتمة جيدة لكلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينضم إلىٰ ما تضمنته هذه الرسالة النفيسة من درر ثمينة في بيان المعتقد الحق، الذي سلكه أهل السنة في صفات الرب جَلَّ جَلَالُهُ وأسمائه، وفي غير ذلك من قِبَيل الإشارة، ولكن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا شدَّد القول في الصفات لأن مسألة السائل عن الأسماء والصفات، وهذه الآية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: ردٌّ علىٰ أهل التمثيل؛ فالله ليس كمثله

شيء في جميع نعوته وأفعاله وأسمائه وصفاته وحكمه في أمره وفي شرعه.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: هذا ردٌّ علىٰ أهل التعطيل الذين عطَّلوا الله ﷻ عن صفات الكمال، سواء أكان تعطيلهم في الكل، أو في البعض.



«ومن جملة الصفات التي أمرَّها السلف علىٰ ظاهرها، وأجروها علىٰ ما جاء به القرآن والسنة، من دون تكلف، ولا تأويل: صفة الاستواء التي ذكرها السائل.

يقولون: نحن نثبت ما أثبته الله لنفسه من استوائه علىٰ عرشه، علىٰ هيئة لا يعلمها إلا هو، وكيفية لا يدري بها سواه، ولا نكلف أنفسنا غير هذا، فليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا يحيط عباده به علمًا.

وهكذا يقولون في مسألة الجهة التي ذكرها السائل، وأشار إلىٰ بعض ما فيه دليل عليها، والأدلة في ذلك طويلة كثيرة في الكتاب والسنة».

الشرح:

فمن هنا بدأ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجواب علىٰ مسألة السائل، وقد ذكر ما تقرر سابقًا: مِن أن أهل السنة يتكلمون في معنىٰ الصفة، ويمسكون عن كيفيتها؛ لأنها من علم الغيب الذي حجبه الله عن الخلق، وقد تقدم: أن الصفات الإلهية معلومة باعتبار، مجهولة باعتبار آخر؛ فهي معلومة باعتبار المعنىٰ، ومجهولة باعتبار الكيفية.

قال **الإمام مالك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الاستواء**: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

وعلىٰ هذه المقولة مشىٰ السلف، وهي مروية عن شيخه ربيعة بن

عبد الرحمن، ومروية عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفًا عليها[١]، ومروية عن النبي ﷺ؛ لكن ذلك لم يصح لا سندًا ولا متنًا.

والمقصود: أن هذا هو خلاصة مذهب السلف في الصفات الإلهية، والذي ينبغي التنبيه عليه هنا: لفظ (الجهة)؛ فلفظ الجهة لم يتكلم فيه أهل العلم من حيث لفظه، فلو أن سائلًا سأل: هل يوصف الله بالجهة؟ فيقال له: لفظ الجهة لم يرد في الكتاب ولا في السنة، هذا من حيث لفظه، وأما من حيث معناه فهو على ثلاثة أوجه: أحدها: جهة سفل، والثاني: جهة علو تحيط بالله، والثالث: جهة علو لا تحيط بالله.

فالأول والثاني باطلان، أحدهما -وهو الأول-: أن الله منزه عن السفل سبحانه وتعالى، والثاني: أن الله عز وجل لم يحط به شيء من خلقه، ليس هو حالًّا في شيء من خلقه وليس شيء من خلقه حال فيه.

وأما الثالث: وهو جهة علو لا تحيط بالله؛ فهذا هو الصحيح.



(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٣/ ١٦٢، رقم:١٢٠)، وابن منده في «التوحيد» (٣/ ٣٠٢، برقم:٨٨٧)، واللالكائي في «شرح الأصول» (٣/ ٣٩٧، برقم:٦٦٣)، وقال ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٣٦٥): «ليس له إسناد يعتمد عليه»، وكذلك وهاه الذهبي في «العلو» (٦٥).

«وقد جمع أهل العلم منها -لا سيما أهل الحديث- مباحث كتبوها بذكر آيات قرآنية، وأحاديث صحيحة.

وقد وقفتُ من ذلك علىٰ مُؤلَّف بسيط في مجلد جمعه مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ استوفىٰ فيه كل ما فيه دلالة علىٰ الجهة من كتاب أو سنة أو قول صاحب مذهب».

الشرح:

إذن: الشيخ يقصد جهة العلو التي لا تحيط بالله عَزَّ وَجَلَّ، والكتاب المشار إليه، هو «العلو» للذهبي، وقد اختصره الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فاختصر ما صح في ذلكم من الأحاديث، وحذف الإسناد.

وبقي إشارة، وهي قوله: (القرآن والحديث)، وهذا تنبيه إلىٰ أن صفات الرب عَزَّ وَجَلَّ لا تؤخذ إلا من مصدرين اثنين: وهما القرآن وصحيح السنة، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا نجاوز القرآن والحديث»؛ يعني: في الصفات.



«والمسألة أوضح من أن تلتبس علىٰ عارف، وأبين من أن يحتاج فيها إلىٰ التطويل، ولكنها لما وقعت فيها تلك القلاقل والزلازل الكائنة بين بعض الطوائف الإسلامية: كثر الكلام فيها، وفي مسألة الاستواء وطال، سيما بين الحنابلة وغيرهم من أهل المذاهب، فلهم في ذلك الفتن الكبرىٰ، والملاحم العظمىٰ، وما زالوا هكذا في عصر بعد عصر.

والحق هو ما عرفناك من مذهب السلف الصالح: فالاستواء علىٰ العرش، والكون في تلك الجهة، صرَّح به رسول الله ﷺ في غير حديث؛ بل هذا مما يجده كل فرد من أفراد الناس في نفسه، ويحسه في فطرته».

الشرح:

يشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ أمرين: أحدهما: العلو، والآخر: الاستواء، وبينهما فروق.

فالعلو: صفة ذاتية، والاستواء: صفة فعلية، هذا الوجه الأول من الفروق.

والعلو؛ تضافر عليه الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة، والاستواء تضافر عليه الكتاب والسنة والإجماع؛ ولذلك: فإن الاستواء لا يعرفه إلا خواص من الناس، أما عوام الناس؛ فإنهم يدركون بما فطرهم الله عليه من الفطرة السليمة صفة العلو؛ ولهذا فإن أطفال المسلمين إذا نابهم أمر تجد الواحد منهم يرفع رأسه يقول: يا ربي.

وانظروا إلىٰ عجائز المسلمين، وكبار السن منهم، والذين هم علىٰ الفطرة السليمة الواحد منهم إذا دعا رفع يديه.

فلتعلموا -يا طلاب العلم-: أن الشيخ هنا اختصر، وحقنا أن نبين ما أجمله باختصاره.

وأراد رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: الجهة المقيدة، وهي التي سبق بيانها، ولم يرد الجهة المطلقة، فهذه الجهة لا يوصف بها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



«وتجذبه إليه طبيعته، كما تراه في كل من استغاث بالله ﷻ، والتجأ إليه، ووجه أدعيته إلىٰ جنابه الرفيع، وعزه المنيع؛ فإنه يشير عند ذلك بكفه، أو يرمي إلىٰ السماء بطرفه، ويستوي في ذلك عند عروض أسباب الدعاء، وحدوث بواعث الاستغاثة، ووجود مقتضيات الإزعاج، وظهور دواعي الالتجاء: عالم الناس وجاهلهم، والماشي علىٰ طريقة السلف، والمقتدي بأهل التأويل القائلين: بأن الاستواء هو الاستيلاء، كما قال جمهور المتأولين والأقيال، كما قاله أحمد بن يحيىٰ، وثعلب، والزجاج، والفراء، وغيرهم، أو كناية عن الملك والسلطان، كما قاله آخرون.

فالسلامة والنجاة: في إمرار ذلك علىٰ الظاهر، والإذعان بأن الاستواء والكون علىٰ ما نطق به الكتاب والسنة، من دون تكييف، ولا تكلف، ولا قيل، ولا قال».

الشرح:

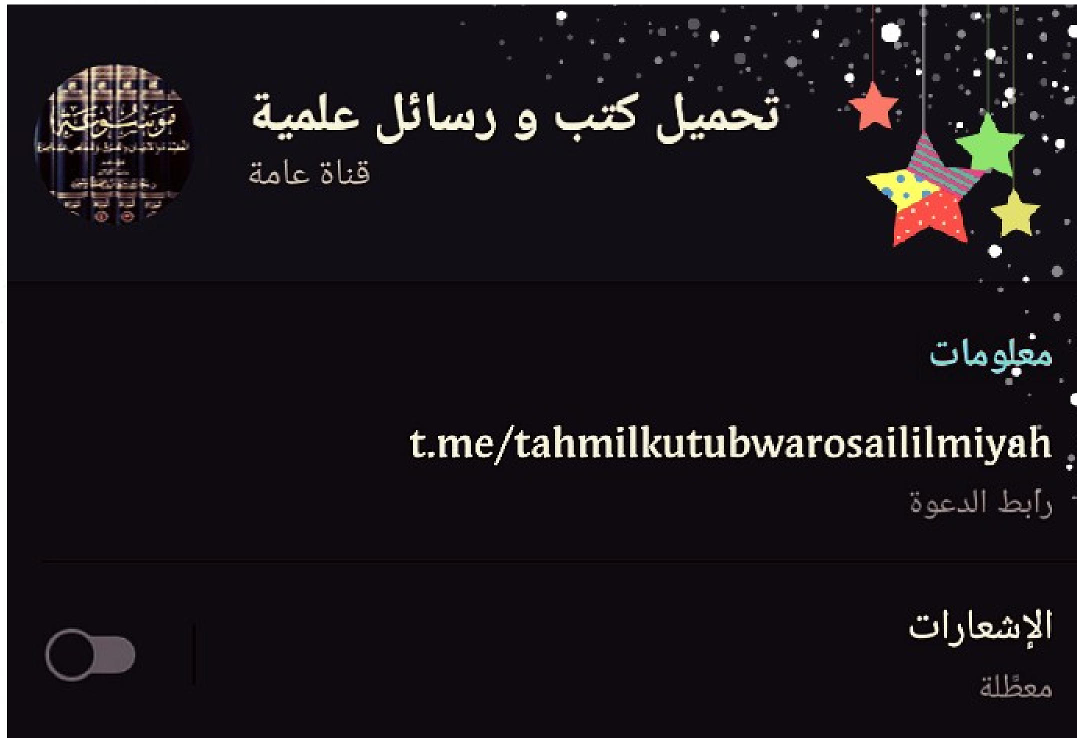
ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعضًا من تأويلات الاستواء، وكلها باطلة.

فالسلف يفسرون الاستواء: بالعلو والارتفاع، ويفسرونه: بالاستقرار، ويفسرونه: بالقصد، حسب ما جاء فيه من الآيات البينات الواضحات.

وأما أهل البدع، فيفسرونه: إما بالملك والسلطان، وإما بالاستيلاء، وهذا من الباطل؛ فإن من لوازم الاستيلاء: أن العرش لم يكن لله من قبل،

وأن الله قد اغتصبه من صاحبه، أو أخذه بأي وجه من الوجوه، وهذا باطل.

وأما الملك والسلطان: فملك الله ﷻ وسلطانه: ليس خاصًّا بالعرش، كل ما خلقه الله ﷾ هو مشمول بملك الله وسلطانه.



«فالسلامة والنجاة: في إمرار ذلك على الظاهر، والإذعان بأن الاستواء والكون على ما نطق به الكتاب والسنة، من دون تكييف، ولا تكلف، ولا قيل، ولا قال، ولا قصور في شيء من المقال.

فمن جاوز هذا المقدار بإفراط أو تفريط: فهو غير مقتد بالسلف، ولا واقف في طريق النجاة، ولا معتصم عن الخطأ، ولا سالك في طريق السلامة والاستقامة.

وكما نقول هكذا في الاستواء والكون في تلك الجهة؛ فكذا نقول في مثل قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، وفي نحو: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة:٧]. وفي نحو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]. إلى ما يشابه ذلك، ويماثله ويضارعه.

فنقول في مثل هذه الآيات: هكذا جاء القرآن؛ إن الله سبحانه مع هؤلاء، ولا نتكلف تأويل ذلك، كما يتكلف غيرنا: بأن المراد بهذا الكون، وهذه المعية: هو كون العلم ومعيته، فإن هذه شعبة من شعب التأويل[1]،

---

(١) قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال أبو عمر أيضًا -يعني: ابن عبد البر-: «أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حُمل عنهم التأويل، قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ هو على العرش، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يُحتج بقوله». اهـ

=

تخالف مذاهب السلف، وتُباين ما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم، وإذا انتَهَيتَ إلىٰ السلامة في مدرك فلا تجاوزه.

وهــذا الحَــقُّ لــيس بــه خفــاءٌ   فَدَعنِــي مـــن بُنَــيَّاتِ الطَّــريق

الشرح:

أقول: وهاهنا لفتة، وهي أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ نبَّه بذكر صفات أُخر، إلىٰ ما لم يذكره من الصفات الثابتة لربنا جَلَّ جَلَالُهُ، والصفة التي لم يذكرها المصنف هنا في هذه الرسالة: صفة المعية، وتلحظون أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حمل علىٰ من فسَّرها بالعلم والتأييد، وقد فسرها هو نفسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذلك في كتابه «فتح القدير»، في سورة الأنفال، وفي سورة براءة، وفي سورة المجادلة، في مواضع، وإيضاحُ ذلك أن يقال:

=

وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا علىٰ هذا النص: «في هذا النص ردٌّ صريح لِمَا ذهب إليه الإمام الشوكاني في آخر «تحفته» أن تأويل هذه الآية وآية ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ بالمعية العلمية، إنَّما هو شعبة من شعب التأويل المخالف لمذهب السلف، وما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم.

كذا قال؛ وكأنه لم يقف علىٰ هذا النص من الحافظ ابن عبد البر، ولا علىٰ من سبق عن الأئمة الفحول، كسفيان الثوري، ومالك، ومقاتل بن حيان، الذين فسَّروا الآيتين بِمثل ما نقل ابن عبد البر إجماع الصحابة ومن بعدهم عليه.

فلا تغتر إذن بما زعمه الشوكاني من المخالفة، فإن لكلِّ عالِمٍ زلَّة، ولكلِّ جواد كبوة».

انظر: «مختصر العلو» (ص ٢٦٨).

صفة المعية تنقسم إلىٰ قسمين:

معية عامة: ومقتضاها العلم، والتدبير والسلطان.

ومعية خاصة: وهي بالإضافة إلىٰ ما سبق مقتضاها حفظ الله لأهل الإيمان ونصرتهم وتمكينهم دينهم الذي ارتضاه الله لهم إلىٰ غير ذلك من عنايته بهم ورحمته إياهم في الدنيا والآخرة.

فالعلم والسلطان والتدبير هذه في المعية العامة، الذي يستوي فيها كل عبد من عباد الله، المسلم والكافر والبَر والفاجر، يستوون فيها فالله مع جميع عباده بعلمه، وبتدبيره، وبسلطانه، لا تخفىٰ عليه منهم خافية، ولا يشذ عنه منهم شاذ، ولا يشذ منهم شاذ عن قهره وعلمه، وتدبيره وسلطانه جَلَّ جَلَالُهُ.

والمعية الخاصة؛ تزيد بالحفظ، والتأييد، والتثبيت علىٰ الهدىٰ، والنصر، والعزة، والتمكين، وكل ذا وذاك من معاني ربوبيته عَزَّ وَجَلَّ.



«وقد هلك المتنطعون، ولا يهلك علىٰ الله إلا هالك، وعلىٰ نفسها براقش تجني.

وفي هذه الجملة، وإن كانت قليلة، ما يغني من شح بدينه، وتحرص عليه من تطويل المقال، وتكثير ذيوله، وتوسيع دائرة فروعه وأصوله.

والهداية من الله، والله أعلم.

ولله الحمد أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، وأصلي وأسلم علىٰ محمد النبي الأمي وعلىٰ آله وصحبه وسلم».

الشرح:

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أراد الإشارة لا بسط العبارة؛ لأن الصفات الإلهية أُلفت فيها كتب خاصة.



فهرس الموضوعات

